السيرة الذاتية في الأدب المصري المعاصر

بقلم الدكتور

إيمان محمد عبد الفتاح الشمـــاع

أستاذ الأدب والنقد المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

_بدأت مسيرتى الأكاديمية والعلمية بأبحاث خصصت معظمها لفن الشعر وبصفة خاصة للشعرالمصرى المعاصر.وقد تناولت دراساتى لنيل درجة الماجيستير ثم درجة الدكتوراه فأبحاث الأستاذية إبداع معظم شعرائنا المعاصرين.ثم عنيت بمناقشة القضية الشائكة المتعلقة بما أطلق عليه قصيدة النثر.

_ وقد رأيت فى هذا البحث الماثل أن أنتقل بالدراسة إلى فن آخر من فنون الأدب الحديثة وهو فـــن السيرة الذاتية،فاخترت له عنوانا "السيرة الذاتية فى الأدب المصرى المعاصر"

_ وخصصت المبحث التمهيدى فيه للموضوعات الآتية :

- التعريف بالسيرة الذاتية وحداثة نشأتها كجنس أدبى جديد .
- السيرة الذاتية فى الأدب الغربى (إذ نشأ هذا الفن الجديد فى الغرب)
- السيرة الذاتية فى الأدب العربى (حيث تلمست جذور السيرة وارهاصاتها الأولى فى أدبنا القديم ثم تطورها فى الأدب العربى المعاصر) .

_ وخصصت الفصل الأول لتاريخ السيرة الذاتية فى الأدب المصرى المعاصر فتحدثت عن نشأتها وتطورها حتى الآن . _ وفى الفصل الثانى تناولت ثلاثة من أهم نماذج السيرة الذاتية فى الأدب المصرى المعاصـــر.. محاولة إبراز خصائص كل منها .

وهذه النماذج الباذخة الشهيره هى :

- أنا (السيرة الذاتية للمفكر والأديب العملاق عباس محمود العقاد)
- الأيام (السيرة الذاتية لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين)

- على مشارف الخمسين (السيرة الذاتية القاصرة على تطور التجربة الشعرية) لصلاح عبد الصبور الشاعر المجدد أحد رواد الشعر الحديث.

_ وفى نهاية البحث أوردت خاتمته ونتائجه وثبتا بمراجعه.

_ وأرجو أن تكون هذه الدراسة قد سدت فراغاً فى مكتبتنا العربية المعاصرة مقرةً بأننى مهما بذلت من جهد وأعملت من فكر فإن بحثى لم يحقق حلم الكمال أو يقترب منه ، وإنمـا هو خطى على الطريق يوجهها أساتذتنا الأجلاء ويستكملها زملاؤنا وتلاميذنا الجادون المخلصون ، والله ولى التوفيق، عليه توكلتُ وإليه أُنيب .

المبحث التمهيدي

أولا: السيرة الذاتية وحداثة نشأتها كجنس أدبى جديد

** السيرة الذاتية فن من فنون الكتابة الأدبية فيها يكتب المؤلف قصة حياته بما فيها من أحداث ومؤثرات وإنجازات

** وقد عرّفها الأديب محمد عبد الغنى حسن بقوله :السيرة الذاتية هى أن يكتب المرء بنفسه تاريخه فيسجل أخباره ويسرد أعماله وآثاره ، ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته وما جرى فيها من أحداث تعظم وتضؤل تبعا لأهميته . وإذا اعتدلت كانت أصدق ما يكتب عن رجل وأكثر انطباقا على حياته ، لأنها ليست مجال تخمين أو افتراض ولكنها مجال تحقيق وتثبت، وبهذا يصح فى المترجم الذاتى (كاتب السيرة الذاتية) المثل القائل : "قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قولَ كلَّ خطيب "[١]

** والسيرة الذاتية لتكون أدبا رفيعا لابد لها من بناء فنى محكم فهى ليست ثرثرة أو مجرد حكى للأحداث المتناثرة التى مرت بالإنسان.السيرة من الناحية الفنية يجب أن تكشف عن تطور حياة وشخصية كاتبها بحيث ترد مسلسلة مترابطة ،وبأسلوب أدبى يتسم بالصياغة الجذابة والمقدرة على بث الحياة والحركة فى نصها لدى تصوير الأحداث والشخصيات والمؤثرات التى أثرت فى كاتب السيرة وفى تلك الحياة[٢].

** ويعرف فيليب لوجون السيرة الذاتية بأنها حكى استرجاعى يقوم به شخص واقعى عن وجوده الخاص ، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة عامة [٣]

** ويتناول الدكتور محمد فاوبار_الكاتب الأكاديمى المغربى_السيرة الذاتية فيعرّفها بما يتفق والمعانى السابقة محددا خصائصها الفنية [٤]

إطلالة على فن السيرة الذاتية فى الأدب الغربى

** السيرة الذاتية كفن محكم من فنون الأدب على هذا النحو السابق حديثة النشأة ، فهى بمثابة جنس أدبى جديد ولكن جذورها عريقة قديمة . ونقول إنها فن حديث النشأة رغم أن نماذج منها كتبت من أقدم العصور ،لأن "أكثر السير فى العالم ظل مجموعة من الأخبار المأثورة أو المشاهدات المتفرقة ليس فيها وحدة البناء ولا الإحساس بالتطور الزمنى ولا تتبع مراحل النمو والتغير فى الشخصية المترجمة ، وبالاختصار ظلت السير دون شكل تام ودون محتوى واف كامل ، حتى العصر الحديث ،حيث واجهت التغير فى القاعدة والطريقة وكان ذلك بتأثير من الثقافة الغربية . وفى الغرب نفسه لم تكن السير فى ماضيها أحسن حالا منها فى العالم الإسلامى العربى .

** ولم تتميز السيرة بوضوح فى أدب كما تميزت فى الأدب الإنجليزى وربما لم تصل فى غير هذا الأدب إلى ما وصلته فيه من درجه فنية ، وكل هذا يشير إلى أن السيرة فى شكلها الأدبى لاتزال حديثة النشأة وأبعد نماذجها يرجع إلى القرن الثامن عشر ... فقد أصبحت السيرة صورة جديدة للتجربةَ والاكتشاف حتى لقد زاد الميل إلى كتابتها بدقة وأمانة وحيوية .ومن ثم يمكن أن يعد القرن الثامن عشر " عصر النهضة" فى تاريخ السيرة الإنجليزية . ومما يدل على الجدية فى تناولها عناية كتابها ونقادها على السواء بتقرير المبادىء اللازمة لبنائها وتكرار القول بأن كتابة السيرة ليست نثرا للأقوال والحكايات بل هى ذات أصول لابد من أن تراعى بدقة .

إطلالة على فن السيرة الذاتية فى الأدب العربى

** وبالمثل فإن الأدب العربى عرف السيرة منذ أقدم العصور ولكن السيرة الحديثة شىء مختلف . فقد استوفى مبدعوها المحدثون عناصر السيرة الفنية ببراعة وعندهم اكتمل للسيرة وجودها الفنى فى الأدب العربى الحديث ، وهذا اللون من السيرة الذى كتب بهذا الفن المحكم حديثا كان جديدا على الناس فى العالم العربى[٥]. ويشير الأديب الشاعر محمد عبد الغنى حسن إلى ذلك كله فى كتابه التراجم والسير الصادر عن دار المعارف فى طبعه الثالثة ص ٣ وما بعدها : وفى مقدمة الكتاب يقول : لم يكتب إلى اليوم _ فيما نعلم كتاب يعالج موضوع التراجم والسير فى الأدب العربى . على الرغم من جلال هذا الموضوع وخطره وشدة اتصاله بتطور تدوينالتاريخ الاسلامى ، من المغازى والسير إلى السيرة النبوية فكتب الطبقـــات التى لم تدع صاحب علم أو فن أو صناعة إلا عنيت بالترجمة له .

وقد أشار الأستاذ الدكتور / يحي ابراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث (دار إحياء التراث العربى _ بيروت طبعة ١٩٧٥ وما بعدها) ويستطرد الأستاذ محمد عبد الغنى حسن قائلا إن الثابت أن القرون انقضت متعاقبة وليس فى الأدب العربى ترجمة ذاتية بمعنى الكلمة إلا ما كان من ترجمة على باشا مبارك لنفسه فى كتاب الخطط التوفيقية فى القرن التاسع عشر والسيره التى كتبهـــا محمد عمر التونسى فى كتابه تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، والسيرة التى كتبها عبد الله النديم لنفسه فى كتابات "كان ويكون" حتى جاء القرن العشرون فرأيناالمرحوم الأستاذ / محمد كرد على يكتب لنفسه ترجمة فى بضع عشرة صفحة فى آخر كتابه "خطط الشام" المطبوع فى دمشق سنة ١٩٢٧ .[٥]

_ ويقول الدكتور إحسان عباس إنه يؤمن بأن الحديث فى السيرة والسيرة الذاتية يتناول جانبا من الأدب العربى عامرا بالحياة نابضا بالقوة ، وأن هذا اللون من الدراسة يصل أدبنا بتاريخ الحضارة العربية وتيار الفكر العربى والنفس العربية ،لأنه صورة للتجربة الصادقة الحية التى أخذنا نتلمس مظاهرها المختلفةفى أدبنا عامة . فنجدها واضحة فى الفهم النفسى والإجتماعى عند الجاحظ وأبى حيان وابن خلدون وابن جبير ، ونستقر بها فى سخرية المازنى والشدياق وثورة جبران والمعرى . فاذا جئت اليوم أعرض سيرة صلاح الدين الأيوبى لابن شدادأو سيرة ابن طولون للبلوى أو الصراع الروحى فى المنقذ من الضلال أو الصلابة فى نفسية ابن خلدون أو الشجاعة المؤمنه بمصيرها فى مذكرات أسامة ، فانما أحاول أن أنفذ إلى جانب من تلك التجربة الحية وأضع مفهوما أوسع لمهمة الأدب . ذلك لأن الأشخاص الذين يصلوننا بأنفسهم وتجاربهم هم الذين ينيرون أمامنا الماضى والمستقبل . أما أولئك الذين يذهبون بنا فى شعاب من الصنعة فانهم يستنزفون جهدنا على غير طائل وينقلون تفاهة الماضى الذى عاشوا فيه إلى حاضرنا الذى نرجوه أجدى . وإنى لأعلم أن الإتجاه فى الحياة المعاصرة أخذ يتشكل نحو الجماعة بخطى سريعة وهذا قد يقلل من تقديس الأبطال ويحمل دور الفرد فى الحياة ومن ثم تقل الرغبة فى السير عامة ولكننا نسىء إلى روح الجماعة إذا اعتقدنا أن التجربة الفردية لاقيمة لها ، فقد تزول عبادة الأطفال من النفوس وقد يفقد الفرد معنى التفرد ، ولكن شيئا واحدا لا يزول هو هذه التجارب الحية وطريقة التعبير عنها [٦]

**وقد كتب العرب والمسلمون القدماء السير والتراجم بكثرة ولكنهم لم يكتبوا السيرة الذاتية ولا المذكرات واليوميات الشخصية إلا نادرا . كذلك الحال فى الأدب المصرى الذى لم يعرف تاريخه القديم السيرة الذاتية إلا فى صور بالغة

الندرة ، حتى كان القرن التاسع عشر حيث بدأ ظهور بعض السير الذاتية كسيرة على مبارك الذاتية التى عرضها فى كتابه الخطط التوفيقية ، وسيرة عبد الله النديم الذاتية التى كتبها فى مؤلفه "كان ويكون" . ثم كان القرن العشرون الذى استهل بسيرة ذاتية وجيزة ولكنها مشهورة مرموقة لفتت الانتباه وأثبتها تاريخ هذا الفن الحديث ألا وهى سيرة "محمد كرد على" التى تضمنها كتابه "خطط الشام" الصادر سنة ١٩٢٧ ، وهى السيرة التى توجت بمذكراته التى صدرت فى أربعة أجزاء ضخمة سنة ١٩٤٨ .

** ومن ألوان السيرة الذاتية التى ظهرت بعد ذلك مذكرات أحمد شفيق ، واسماعيل صدقى باشا والدكتور محمد بهى الدين بركات وقلينى فهمى والأمير عمر طوسون .

** وبلغت السيرة الذاتية ذروتها فى الأدب المصرى المعاصر متمثلة فى كتاب "الأيام" للدكتور طه حسين "وحياتى" لأحمد أمين "وأنا" لعباس محمود العقاد ، ومن ذلك أيضا "قصة حياة" لإبراهيم عبد القادر المازنى "وحياة طبيب" للطبيب المصرى العالمى نجيب محفوظ "ومذكرات طالب بعثة" للدكتور لويس عوض ، "وقصة حياتى" للطبيب الشهير مصطفى الايوانى[٧]

هوامش المبحث التمهيدى

(١) محمد عبد الغنى حسن : التراجـــم والسير – دار المعارف – الطبعة الثالثة – ص ٣

وفى مقدمة الكتاب يقول : لم يكتب إلى اليوم – فيما نعلم – كتاب يعالج موضوع التراجم والسير فى الأدب العربى . على الرغم من جلال هذا الموضوع وخطره وشدة إتصاله بتطور تدوين التاريخ الإسلامى، من المغازى والسير إلى السيرة النبوية ، فكتب الطبقات التى لم تدع صاحب علم أو فن أو صناعة إلا عنيت بالترجمة له .

[٢] راجع فؤاد طمان : الشعر المصرى المعاصر من الإحياء حتى الحداثة – دار السفير – الطبعة الأولى ٢٠١٦ ص ١٢٠ حيث يقول أيضا بمناسبة الحديث عن السيرة الذاتية عموماإن السيرة وإن كان الأصل فيها أن تروى قصة الحياة الشخصية الواقعية ولكنها كفن أيضا تستعين بالخيال والمجاز فى ربط وتحليل أحداث تلك الحياة بما يزيدها إيضاحاً وعمقاً وجمالاً.وبالنسبة لسير الشعراء القاصرة على عرض تجربتهم الشعرية وتطورها فهى لاتتناول تفاصيل حياتهم ولكن تفاصيل رحلتهم الشعرية.

[٣] السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبى ترجمة وتقديم عمر حـــلى _ المركز الثقافى العربى ط (١) ١٩٩٤

[٤] أ.د / محمد فاوبار – الأكاديمى المغربى_السيرة والسيرة الذاتية كمنهج من الأدب إلى علم الاجتماع (بحث منشور فى مجلة عالم الفكر الصادر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت العدد الأول المجلد ٤٤ _ يوليو وسبتمبر ٢٠١٥ – ص ١٩٦ وما بعدها حيث يشير إلى مؤلف الدكتور / يحيى إبراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية فى الأدب العربى

الحديث – دار إحياء التراث العربى – بيروت طبعة ١٩٧٥ ص ٨١ وما بعدها وينقل عنه الخصائص التالية للسيرة الذاتية :

١- يعتمد كاتب السيرة الذاتية على المعاناة فى تذكر الحقيقة ومحاولة نقلها نقلاً أمينا على نحو ما حدث فى واقع الحياة .

٢- يصور كاتب السيرة الذاتية كيفية تفاعله مع مختلف الأحداث والتجارب الحياتية والمجتمعية فى تعاقب زمنى متواصل ومن الضرورى أن يستعين بعناصر الفن الروائى لتفسير حياته .

٣_ تقوم السيرة الذاتية على وحدة البناء وتطور الشخصية وقوة الصراع وتعتمد فى كليتها على الحقيقة التاريخية والسرد الأدبى ، وتمثل تعبيرا ذاتيا يعتمد الصدق وقوة الشعور بالأفكار والمواقف المؤثرة ومنعطفات التحول فى الشخصية .

[٥] محمد عبد الغنى حسن_ المرجع السابق_ص٢٥ ، ٢٦

[٦] د. إحسان عباس_فن السيرة_ الناشر دار الثقافة بيروت _لبنان ص٣ وما بعدها

وفى هذا الصدد يقول الأستاذ الدكتور/ محمد فاوبار

_فى الثقافة العربية القديمة لم تتبلور معالم السيرة الذاتية كجنس أدبى مستقل لغياب شروطها. حيث كان الإنسان العربى المسلم يذوب فى الجماعة وفى الأمة،وفى المطلق أو المتعالى الدينى،ومن ثم غاب مفهوم الذات المستقلة،وما برز فى الأساس هو السيرة الغيرية والتراجم،وإن استدماج الثقافة الغربية فى العصر الحديث ،وبروز الطبقة الوسطى ساعدا على تحول البنيات الذهنية فى مصر والبلاد العربية،فبرز جنس السيرة الذاتية "كالأيام" لطه حسين و"قصة نفس"،لزكى نجيب محمود" [المرجع السابق ص١٩٥ ، ١٩٦]

[٧] راجع:محمد عبد الغنى حسن_المرجع السابق_ص٢٤ وما بعدها،حيث يضيف مضت القرون متعاقبة وليس فى الأدب العربى ترجمة ذاتية فيما نعلم ، إلى أن ظهرت سيرة على مبارك ومن تبعه (ممن سبق أن ذكرنا أسماءهم فى المتن).

ويقول:من البحوث فى التراجم الذاتية فى الأدب العربى ما كتبة المستشرق فرانتز روزنتال بعنوان "التراجم الذاتية للمؤلفين العرب" وهو بحث نشر سنة ١٩٣٥ ونشر ملخصا فى كتاب "الموت والعبقرية" الذى أصدره عبد الرحمن بدوى سنة ١٩٤٥ . كما يشير محمد عبد الغنى حسن إلى مرجع واف وضعه الأستاذ /أنور الجندى عن التراجم الذاتية فى الأدب العربى المعاصر ونشرتة مجلة الأديب البيروتية فى الجزء الخامس الذى صدر فى مايو ١٩٦٨ (ص٢٦، ٢٧)

_راجع أيضا فؤاد طمان_المرجع السابق_ص١٢٢ وما بعدها حيث يشير إلى عدة سير ذاتية شعرية له وللشاعر/فاروق شوشة ومحمود درويش وحزّين عمر كما يشير إلى سيرة ذاتية أحدث للويس عوض وإلى زهرةالعمر وهما من قبيل السيرة الذاتية كتبهما توفيق الحكيم . كذا يشير إلى "قصة نفس" لزكى نجيب محمود وغيرها من السير.

الفصل الأول

تاريخ السيرة الذاتية فى الأدب المصرى المعاصر

** عرف الأدب العربى بما فيه الأدب المصرى كتابة السيرة والسيرة الذاتية وهى كتابة إذا تمت وفق الأصول الفنية تكون لها قيمتها الجليلة لأنها تنقل لنا التجربة الحية لأصحاب السير من أنبياء ومفكرين وقادة وأبطال ، و شعراء ، وأدباء وفنانين ، وغيرهم ممن يؤدى الاطلاع على جوانب حياتهم إلى إثراء العقل وإعطاء القدوة وإضاءة الطريق أمام الآخرين . وحتى عندما بدأت كتابة السيرة والسيرة الذاتية للعاديين من الناس ظلت لهذه السيرة قيمتها لأن للتجربة الحياتية الفردية الإنسانية الحية قيمتها وفائدتها وأثرها إذا كتبت بالأمانة والصدق .

** وفى هذا يقول الباحث المعروف الدكتور إحسان عباس إنه يؤمن بأن الحديث فى السيرة والسيرة الذاتية يتناول جانبا من الأدب العربى عامرا بالحياة نابضا بالقوة ، وأن هذا اللون من الدراسة يصل أدبنا بتاريخ الحضارة العربية وتيار الفكر العربى والنفس العربية ، لأنه صورة للتجربة الصادقة الحية التى أخذنا نتلمس مظاهرها المختلفة فى أدبنا عامة . فنجدها واضحة فى الفهم النفسى والاجتماعى عند الجاحظ وأبى حيان وابن خلدون وابن جبير ونستقريها فى سخرية المازنى والشدياق وثورة جبران والمعرى . فإذا جئت اليوم أعرض سيرة صلاح الدين لابن شداد أو سيرة ابن طولون للبلوى أو الصراع الروحى فى المنقذ من الضلال أو الصلابة فى نفسية ابن خلدون أو الشجاعة المؤمنة بمصيرها فى مذكرات أسامة ، فإنما أحاول أن أنفذ إلى جانب من تلك التجربة الحية وأضع مفهوما أوسع لمهمة الأدب ، ذلك لأن الأشخاص الذين يصلوننا بأنفسهم وتجاربهم هم الذين ينيرون

أمامنا الماضى والمستقبل . أما أولئك الذين يذهبون بنا فى شعاب من الصنعة (الرسمية) فإنهم يستنزفون جهدنا على غير طائل وينقلون تفاهة الماضى الذى عاشوا فيه إلى حاضرنا الذى نرجوه أن يكون أجدى . وإنى لأعلم أن الاتجاه فى الحياة المعاصرة أخذ يميل نحو الجماعة بخطى سريعة، وهذا قد يقلل من تقديس الأبطال ومن ثم تقل الرغبة فى السِّير عامة ولكننا نسئ إلى روح الجماعة إذا اعتقدنا أن التجربة الفردية لا قيمة لها ، فقد تزول عبادة الأبطال من النفوس وقد يفقد الفرد معنى التفرد ، ولكـــــــــــــن شيئاً واحدا لا يزول هو هذه التجارب الحية وطريقة التعبير عنها [١]

** وقد كتب العرب والمسلمون القدماء السير والتراجم بكثرة ولكنهم لم يكتبوا السيرة الذاتية ولا المذكرات واليوميات الشخصية إلا نادرا.كذلك الحال فى الأدب المصرى الذى لم يعرف تاريخه القديم السيرة الذاتية إلا فى صور ناقصة بالغة الندرة.

** كانت السيرة الذاتية مجرد أخبار متناثرة أو حكى للأحداث ناقصة محدودة فلم تكن تتناول حياة كاتبها من البداية للنهاية ولم تعن بالتالى ببيان تطور الشخصية ونموها وتطور نظرتها للحياة فى مراحلها المختلفة

وظلت السيرة هكذا على مر القرون،حتى كان القرن التاسع عشر حيث بدأ ظهور بعض السير الذاتية كسيرة على مبارك الذاتية التى عرضها فى كتابه الخطط التوفيقية، وسيرة عبد الله النديم الذاتية التى كتبها فى مؤلفه "كان ويكون". ثم كان القرن العشرون الذى استهل بسيرة ذاتية وجيزة ولكنها مشهورة مرموقة لفتت الانتباه وأثبتها لفتت الانتباه وأثبتها تاريخ هذا الفن الحديث ألا وهى سيرة "محمد كرد على" التى تضمنها كتابه"خطط

الشام"الصادر سنة ١٩٢٧ ، وهى السيرة التى توجهت بمذكراته التى صدرت فى أربعة أجزاء ضخمة سنة ١٩٤٨.

**ومن ألوان السيرة الذاتية التى ظهرت بعد ذلك مذكرات أحمد شفيق ، واسماعيل صدقى باشا والدكتور محمد بهى الدين بركات وقلينى فهمى والأمير عمر طوسون.

** وبلغت السيرة الذاتية ذروتها فى الأدب المصرى المعاصر متمثلة فى كتاب "الأيام" للدكتور طه حسين " "وحياتى" لأحمد أمين "وأنا" لعباس محمود العقاد ، ومن ذلك أيضا "قصة حياة" لإبراهيم عبد القادر المازنى "وحياة طبيب" للطبيب المصرى العالمى نجيب محفوظ "ومذكرات طالب بعثة"للدكتور لويس عوض،"وقصة حياتى " للطبيب الشهير مصطفى الايوانى[٢]

هوامش الفصل الأول

[١] د. إحسان عباس _ فن السيرة _ الناشر دار الثقافة بيروت _ لبنان ص٣ وما بعدها

وفى هذا الصدد يقول الأكاديمى المغربى الأستاذ الدكتور / محمد فاوبار :

_ فى الثقافة العربية القديمة لم تتبلور معالم السيرة الذاتية كجنس أدبى مستقل لغياب شروطها . حيث كان الإنسان العربى المسلم يذوب فى الجماعة وفى الأمة ، وفى المطلق أو المتعالى الدينى ، ومن ثم غاب مفهوم الذات المستقلة ، وما برز فى الأساس هو السيرة الغيرية والتراجم ، وإن استدماج الثقافة الغربية فى العصر الحديث ، وبروز الطبقة الوسطى ساعدا على تحول البنيات الذهنية فى مصر والبلاد العربية ، فبرز جنس السيرة الذاتية "كالأيام" لطه حسين و "قصة نفس"، لزكى نجيب محمود" [المرجع السابق ص ١٩٥ ، ١٩٦]

[٢] راجع : محمد عبد الغنى حسن _ المرجع السابق _ ص ٢٤ وما بعدها، حيث يضيف مضت القرون متعاقبة وليس فى الأدب العربى ترجمة ذاتية فيما نعلم إلى أن ظهرت سيرة على مبارك ومن تبعه (ممن سبق أن ذكرنا أسماءهم فى المتن) . ويقول : من البحوث فى التراجم الذاتية فى الأدب العربى ما كتبة المستشرق فرانتز روزنتال بعنوان " التراجم الذاتية للمؤلفين العرب" وهو بحث نشر سنة ١٩٣٥ ونشر ملخصا فى كتاب " الموت والعبقرية" الذى أصدره عبد الرحمن بدوى سنة ١٩٤٥ .

كما يشير محمد عبدالغنى حسن إلى مرجع واف وضعه الأستاذ / أنور الجندى عن التراجم الذاتية فى الأدب العربى المعاصر ونشرته مجلة الأديب البيروتية فى الجزء الخامس الذى صدر فى مايو ١٩٦٨(ص ٢٦ ، ٢٧) .

_ راجع أيضا فؤاد طمان – المرجع السابق – ص ١٢٢ وما بعدها حيث يشير إلى عدة سير ذاتية شعرية له وللشاعر / فاروق شوشة ومحمود درويش وحزّين عمر كما يشير إلى سيرة ذاتية أحدث للويس عوض وإلى زهرة العمر وسجن العمر وهما من قبيل السيرة الذاتية كتبهما توفيق الحكيم . كذا يشير إلى " قصة نفس " لزكى نجيب محمود وإلى " على مشارف الخمسين " لصلاح عبد الصبور وإلى السيرة الذاتية لعبد العليم القبانى .

الفصل الثاني

نماذج من السيرة الذاتية في الأدب المصري المعاصر وخصائصها

زخر الأدب الحديث بنماذج متطورة من السيرة الذاتية بعضها كتب بضمير المتكلم مثل سيرة العقاد وسيرة صلاح عبد الصبور "على مشارف الخمسين" . والأخرى بضمير الغائب (صاحبنا) مثل سيرة طه حسين والثالثة بضمير المخاطب (أنت) سيرة فاروق شوشة الشعرية وسيرتا العقاد وطه حسين تمثلان خير تمثيل فن السيرة الذاتية الذى اكتملت عناصره فى أدبنا المعاصر وأصبح جنسا أدبيا جديدا كما سبق البيان .أما سيرة كل من صلاح عبد الصبور وفاروق شوشة فهى لون جديد من السيرة المعاصرة فيه يقتصر المترجم الشاعر على تناول تطور تجربته الشعرية من بدايتها لنهايتها ، أو يتناول شعرا لوحاتٍ من سيرته الذاتية فى مراحل حياته المختلفة .

أولا : " أنا "

(السيرة الذاتية للأستاذ عباس محمود العقاد)

** انطوت السيرة الذاتية للأستاذ العقاد التى أسماها "أنا" على حديثه المفصل عن حياته الحافلة وأحداثها . وقد بدأها بالحديث عن نفسه ثم عن أبيه وأمه وبلدته (أسوان)وطفولته وأساتذته ثم تحدث عن الأشياء التى جعلته كاتبا ، ثم عن هجره للوظائف الحكومية ثم عن قلمه ، ولقد تحدث عن كافة جوانب حياته وأحداثها من بدايتها إلى نهايتها ومن أبسط وقائعها إلى ذروة وأعنف تجاربها بما فى ذلك تجربة السجن المريرة التى خاضها .

** وفى تقديمه لسيرة العقاد قال الأستاذ طاهر الطناحى إن كتابة العقاد عن نفسه وترجمته لحياته تختلف عما كتبه الكثيرون من رجال الفكر والأدب والإجتماع عن حياتهم ، فبعض هؤلاء ترجم لحياته فى أسلوب تاريخى

وبعضهم فى صيغة مذكرات أو ذكريات ، وآخرون صوروا حياتهم فيما يشبه الاعترافات مع الاكتفاء بالأهم فالمهم من الأحداث وأدوارهم فيها . أما كتابة العقاد عن نفسه فهى كتابة لها طابع جديد فى كتابة التراجم ، كتابة ليست شخصية بحتة ، ولا سردا لأحداث مرت به أو عاش فيها وكان له دور من أدوارها فحسب بل هى كتابة باحث عالم وفنان نابغ أيضا تعود النظر فى مسائل العلم وقضايا الفن والفكر وجال فى شئون الفلسفة وعلم النفس والأدب والتربية والإجتماع وتمرس بتجارب الحياة ومارس حلوها ومرها وخرج منها بخبرة العالم وخبرة المفكر وحكمة الفيلسوف . فإذا كتب عن نفسه تناول ألوانا من المعرفة وعالج أنواعا من التفكير وتعقب كل حادث أو شأن من الشئون بالتعقيب العلمى أو التعليل النفسى أو التأمل الفلسفى . [١]

** وقد سئل الأستاذ العقاد عن تصوره للكتاب الذى سيصدره عن سيرة حياته وكان قد اختار له عنوانا مبدئيا هو " عَنىِّ " فأجاب بالآتى : سوف يتناول الكتاب حياتى من جانبين : الأول :حياتى الشخصية بما فيها من صفاتى وخصائصى ونشأتى وتربيتى البيئية والفكرية وآمالى وأهدافى ، وما تأثرت به من بيئة وأساتذة وأصدقاء وما طبع فى نفسى من إيمان وعقيدة ومبادئ أو بعبارة أخرى " عباس العقاد الإنسان " ، الذى أعرفه أنا وحدى ، " لاعباس العقاد كما يعرفه الناس " ولاعباس العقاد كما خلقه الله "! والجانب الثانى : حياتى الأدبية والسياسية والإجتماعية المتصلة بمن حولى من الناس أو بالأحداث التى مرت بى وعشت فيها . أو عشت معها ، وخضت بسببها عدة معارك ، وكانت صناعة القلم أبرز ما فيها . أو بعبارة أخرى " حياة قلمى " الذى عاش معى وعشت معه منذ بدأت أكتب فى الصحف السياسية والأدبية وأنا فى السادسة عشرة حتى الآن .

وهذا الكتاب يحتاج منى إلى التفرغ مدة طويلة ، وبخاصة الجانب الثانى لأنه يحتاج إلى دراسة تاريخية ومراجعة للأحداث،وتحقيق دقيق للأسباب والمسببات وجمع الوثائق السياسية والأدبية .

ولعلى أبدأ بالجانب الأول الذى هو " أنا " لأنه أقرب إلى الكتابة وبخاصة وأنا فى نهاية الحلقة السادسة من عمرى " [٢]

هذا هو تصور العقاد فى لحظة التهيؤ لكتابة سيرته الذاتية ، وهو ما نفذه بالفعل . وهذا التصور يشى بفهمه الشخصى لفن السيرة الذاتية وجوانبه وخصائصه . وسوف يتناول بحثنا هذا بصفة أساسية سيرة العقاد الذاتية بالمعنى الدقيق أى الجانب الأول بصفة خاصة الذى يمثله كتاب " أنا " علما بأن العقاد عدل عن تسمية سيرته بالعنوان الذى كان قد اختاره مبدئيا وهو : " عنى " وصدرت سيرته الذاتية فى كتابين : " أنا " و" حياة قلم ".

**** بدأ العقاد سيرته بالحديث عن نفسه ويمكن تلخيصه فيما يلى : [٣]**

<u>ميلاده وتدرجه فى المدارس والوظائف والصحافة</u>

- ولدت فى أسوان يوم ٢٨ يونية ١٨٨٩، ولى إخوه أشقاء وغير أشقاء ، فقد كان والدى متزوجا قبل والدتى ثم ماتت زوجته وبعدها تزوج أمى .

_ وتدرجت فى المدارس والوظائف ، ثم سئمت وظائف الحكومة واستقلت منها وبدأت الكتابة فى الصحف وأخيرا عينت عضوا بمجلس الفنون والآداب ، كما عينت بالمجمع اللغوى .

عن أبيه وأصحاب أبيه

_عن اسم " العقاد" يقول : جدى لأبى كان من أبناء دمياط ، وكان يشتغل بصناعة الحرير ، ثم اقتضت مطالب العمل أن ينتقل إلى المحلة الكبرى حتى يتخذها مركزا لنشاطه ، ومن هنا أطلق عليه الناس اسم " العقاد " أي الذى يعقد الحرير ، والتصقت بنا هذه الصفة وأصبحت علما علينا .

_أتمثل أبى فى الصورة التى رأيتها ألفى مرة لأنى كنت أراها كل يوم منذ فتحت عينى على الدنيا إلى أن فارقت بلدتى بعد اشتغالى بالوظائف الحكومية .وتلك هى صورته على مصلاه ، يؤدى صلاة الفجر ، ويجلس على سجادة الصلاة من مطلع الفجر إلى ما قبل الإفطار ، ليتلو سورا خاصة من القرآن الكريم ويعقبها بتلاوة الدعوات ، وكان يؤدى الصلوات الخمس فى أوقاتها .

_ كان رحمه الله يدين بالجد فى الواجب أو بالشدة فى الجد ، وكان يرى للطفل ما يراه للشيخ ، إذا كان الأمر أمر فريضة أو عمل محمود أو عرف مأثور.

– من ذلك أنه كان يرانى فيما دون الثامنة من عمرى أجلس فى المنزل بين قريباتى وخالاتى وجارات المنزل فيصيح بى مستغضبا : عباس ماذا تصنع هنا بين النساء ؟ تعال معى فاجلس بين أمثالك ! ومن هم أمثالى ؟ ... شيوخ فيما بين الأربعين والسبعين ، وكانوا يسهرون معه فى " المندرة " ، ويقضون الوقت فى أحاديث الشيوخ عن السياسة تارة وعن قضايا الأسر الكبيرة تارةً أخرى ، وقلما يمزحون أو يتفكهون إلا ثابوا إلى وقارهم كالمعتذرين .

– وقد أفادتنى هذه الجلسات كل فائدة تأتى من التوقر قبل سن الوقار، وقلما يخلو هذا التوقر من الأضرار ! ولكن فائدتها الكبرى كانت لا ريب معرفتى بالقاضى أحمد الجداوى رحمه الله . فإنه كان من أدبـــاء الفقهـــاء الذين عاصروا السيد/جمال الدين (الأفغانى) وأخذوا عنه دروس الحكمة والغيرة القومية . وكان قوى الذاكرة ، واسع المحفوظ من المنظوم والمنثور ، يستظهر مقامات الحريرى وبديع الزمان ودواوين الشعراء الفحول ، ويطارح خمسة أو ستة من الأدباء فى وقت واحد فيسكتهم دائما ولا يسكتونه مرة

واحدة ، فكانت معرفتى به إحدى الدواعى التى حفزتنى للمطالعة والإقبال على الكتب والدواوين .

_ على هذه السُّنَّة من الجد الشديد أراد _ رحمه الله _ أن أواظب على الصلاة فى أوقاتها قبل العاشرة من عمرى ، فكان أثقل ما أعانيه من ذلك يقظة الفجر فى الشتاء ، وهو الوقت الذى يرين فيه النوم على الأطفال ، فلا يستيقظون إلا بعد جهد عنيف . وصبرت على هذا الجهد العنيف مرتين أو أربع مرات ثم تمردت دفعة واحدة ، وقـــلت لمن جاء يوقظنى : "إذهب عنى فلست بالمستيقظ .. ولست بالمصلى اليوم !" وسمع أبى ما قلت فصـــــاح بى : "ماذا تقول؟ أتقول إنك لا تصلى ؟ ووثب إلى عصاه ! فذهبت فى الإصرار مذهبه وقلت "نعم!" فصمت ولم يرد. وأعرض عنى أياما لا يكلمنى حتى تناسينا هذا الخلاف . وكنا نجلس إليه مع ذلك جميعا على الطعام فى الصباح والمساء وأحيانا فى طعام الغذاء . وموضع الشدة فى هذه المسألة أننى لم أكن أنفر من الصلاة ، ولا من الفرائض الدينية بل كنت أخفّ إلى المسجد بعض الأوقات ، وأنشد على المئذنة أناشيد الجمعة الأولى، وظللت أنشدها بعد ذلك وأنظمها ، ولا أذكر للمؤذن أننى نظمتها لئلا يستصغرها ويرفض إنشـــادها . ولكن الشدة صدمتنى لأنها كلفتنى مالا أطيق قبل الأوان ، وجاءتنى فى معرض الإكراه .

_ ولا أزال أذكر ملامح السرور التى رأيتها على وجه أبى حين أنشدته قصيدة من تلك القصائد التى كنت أنظمها فى مدح النبى عليه السلام . فإنه تهلل واستبشر ولعله تهلل واستبشر لنزعتى الدينية قبل براعتى فى نظم الشعر أو تجويد الكتابة ، ولم يلاحظ علىّ إلا أننى ختمت القصيدة بشعر أقول فيه على ما أذكر مشيرا الى نفسى : " عباس من هو فى الأشعار

مدرارُ " فقال إن الأباصيرى أكبر مادحى النبى قد ختم مدائحه معتذرا عن التقصير ، فافعل كما فعل ، أو فاسكت عن الاعتذار وعن الإطراء ".

_ وكان _ رحمه الله_ يحتقر المال أن يطلبه بما يسوء فى الضمير أو يسىء إلى إنسان . وقد كان فى وسعه أن يجمع الثروة العريضة من وظيفته فلم يكسب منها غير مرتبه ، وما هو بالكثير . فقد كان أمينا للمحفوظات بإقليم أسوان وكانت أسوان خارجة من القلاقل الجسام التى حاقت بها فى حرب الدراويش فذهبت الوثائق (الخاصة بالمِلْكِيه) فلم يدر أحد منها ماذهب وما بقى بدار المحفوظات ، وكثر المدَّعون للأرض والعقار اعتمادا على ضياع الوثائق وغياب المالكين وموت بعض الوارثين ، فلو شاء أبى فى هذه الفترة أن يخفى ويظهر وأن يقبل المساومة والإغراء لقاسم الكثيرين فيما يدعون أو فيما يملكون ، ولكنه أوصد هذا الباب وسلم دار المحفوظات لمن بعده وهى مثل فى الدقة والضبط .

_ وكان يحاسب نفسه على كل حصة من المال تجتمع فى حوزته وتفرض عليها الزكاة فيوزعها خفية ويرسلنى إلى بيوت الفقراء الذين لا يتعرضون للسؤال ولا يرد مسكينا يطلب الطعام .

_ وكان كثير العطف على ذوى قرباه ، يزورهم فى المواسم والأعياد سواء منهم من كبر ومن صغر ومن استغنى ومن افتقر .

_ ولم يكن مكثرا من القراءة فى غير الكتب الدينية ، ولكنة كان يحدثنا عن تجاربه ومصاعب حياته .

_ على أننى وجدت فى دواليب المنـدرة ، بعد أن بلغت سـن القراءة – أعدادا كثيرة من مجلة " الأستاذ " لصاحبها عبدالله النديم ، فاتصلت بالحركة الوطنية قبل أن تنشأ فى القطر صحيفة من صحفها الحديثة .

_ وجملة ما أذكره لذلك الأب الكريم ، أننى مدين له بالكثير ، وأنى لم أرث منه مالا يغنينى ، ولكنى استفدت منه ما لا أقدره بمال .

_ ولا يفوت العقاد فى موضع آخر أن ينوه بأن والده كان من أنصارالحركة العرابية وخطيبها عبدالله النديم مما كان له أثره على سيرة العقاد فى الحركة الوطنية وفى الإهتمام بالصحافة[٤].

عن أمه

_ تحدث العقاد عن أمه وكيف أنه ورث صفات عنها أكثر من صفاته الموروثة عن أبيه ومن هذه الصفات سلامة بنيتها التى ورثتها عن أبيها ، وحب الصمت والاعتكاف الذى كان يظنه بعض الناس كبرياء وغطرسة فيقول: "لم يكن صمتها نفخة أتراك، بل كانت طبيعة تورث، وخلقة بغير تكلف، ولم أر فى حياتى امرأة أصبر على الصمت والاعتكاف من والدتى، فربما مضت ساعة وهى تستمع من جاراتها وصديقاتها وتجيبهن بالتأمين أو بالتعقيب اليسير".

_ ومما ورثه عنها أيضا قوة الإيمان والعزيمة والإرادة التى ظهرت فى تماسكها عند مرض العقاد وهو فى الثلاثين من عمره إلى درجة أن البعض تصور احتضاره فإذا هى متماسكة متحاملة على نفسها حيث اقتربت من ابنها وبثت فيه قوته التى عهدتها فيه أمام قوة المرض ، وإذا به يستجيب ويشفى .

_ وقد كانت أم العقاد هى النموذج الأمثل للمرأة عنده ، لدرجـــــة تمنيه أن يحظى بزوجة مثلها . وعندما ألحت أمه عليه للزواج قال : " لو وجدت لى زوجة مثلك تزوجت الساعة . ولم أكن مجاملا والله ولا مراوغا فإننى لا أنسى كمال تدبيرها لبيتها منذ صباها "

طفولته وذكريات العيد

يورد العقاد بعض ذكريات الطفولة – وهو دون العاشرة – ومنها :

- رحلته النيلية الأولى قاصدا ضريح ولى من أولياء الله لوفاء نذر.
- تذكره لأول فتاة أعجب بها وهو فى العاشرة ويتذكر ملابسها ومشيتها التى جعلته يتبعها ويقتفى أثرها ويقول لو أننى مصور لاستطعت اليوم أن أصور هذه الفتاة من الذاكرة فلا أخطئ منها لمحة .
- مقولة الإمام محمد عبده عند زيارته لمدرسة العقاد واطلاعه على كراسة الإنشاء الخاصة به حيث أبدى إعجابه بأسلوبه قائلا : " ما أجدر هذا الفتى أن يكون كاتبا بعدُ "

مظاهر العيد التى كانت تبعث فيه الفرح والسعادة وخاصة الملابس الجديدة وتلقى " العيدية "

أساتذته

- التحق العقاد بالمدرسة الإبتدائية عندما بلغ السابعة من عمره .
- وذكر أنه استفاد بصفة خاصة من أستاذته: مدرس اللغة العربية والتاريخ وهو الشيخ محمد فخر الدين، وقد استفاد منه حب الإبداع والابتكار عند كتابته لموضوع الانشاء، ويتحدث عن أستاذه هذا فيقول :

"كان يبغض الصيغ المحفوظة ، وينحى بالسخرية والتقريع على التلميذ الذى يعتمد عليها ويمنح أحسن الدرجات لصاحب الموضوع المبتكر . أما درسه فى التاريخ فكان درسا فى الوطنية فعرّفنا تاريخ مصر ونحن أحوج ما نكون إلى الشعور الوطنى والاعتزاز بتاريخ الوطن " .

_ ويورد العقاد حديثا مفصلا عن أستاذه الشيخ أحمد الجداوى الذى بث فيه حب الشعر وحفظه وعشق الأدب وكتبه فكان للأخير عليه أبعد

الأثر . ويقول عنه إنه كان صديق والده وهو من أبناء أسوان وتعلم فى الأزهر وزامل الإمام محمد عبده أيام الأفغانى وتولى القضاء فى قنا ثم تولى إدارة التعليم فى أسوان . وتعلـم العقاد من أستاذه الجدواى الكثير من الآداب وجوانب الثقـــــافة الهامة .كالتاريخ المصرى الحديث واستمع منه لأول مرة عن الثورة العرابية وخطيبها عبد الله النديم وروى عنه بعض المطارحات الشعرية التى كان فيها راوية رائعا للشعر القديم والجديد. وقال إن مجالس الجداوى حببت إليه الأدب لأول مرة ورغب فى الإقتداء به فحفظ الشعر وطالع كتب الأدب . وفى مجالس الجداوى رأى العقاد لأول مرة الإمام محمد عبده الذى تنبأ له بمستقبل كبير ككاتب وأديب . وأخذ العقاد يقتدى بالإمام كما يقول فى خلقه قبل علمه. فقد عرف عنه غيرته على الحق ونجدته للضعيف وقلة اكتراثه بالقيل والقال وبطريقة تفكيره وخطه السياسى وفى هذا الشأن يقول العقاد . أنا مدين بخطتى فى السياسة الوطنية لإعجابى الشديد بالشيخ محمد عبدة ومريديه فإعجابى به هو الذى عظم فى نفسى الثقة بسعد زغلول يوم كان الفتيان من جيلى كلهم أنصارا لمصطفى كامل وعبدالعزيز جاويش وأتباعا لهم فى الحملة على سعد زغلول " .

الأشياء التى جعلته كاتبا

- يقول العقاد إنه يؤمن بكلمات التشجيع التى يتلقاها الناشئ فى مطلع حياته ممن يثق بهم ويعتز برأيهم فيمضى إلى وجهته على يقين من النجاح.
- ويقول إنه يؤمن أيضا بالظروف وفعلها فى تمهيد أسباب النجاح وتيسير البدء فى طريق ثم المثابرة عليه إلى غاياته القريبة والبعيدة .

- ويقول إنه يؤمن كذلك بالرغبة فى الوجهة التى يتجه إليها الناشئ والعمل الذى يختاره ويلمس من نفسه القدرة عليه والاستعداد له مع الإجتهاد والتذرع بالوسيلة الناجعة .
- ويقول إنه يؤمن بالأشياء الثلاثة السابقة مجتمعة ولا يؤمن بها متفرقات .
- وتطبيقا لما تقدم يقول إن اتجاهه إلى الصحافة – أو إلى الكتابة على الأصح – قد تلاقت فيه كلمات التشجيع ومؤاتاة الظروف والرغبة الكامنة فى الطوية من أيام الطفولة وليس من أيام الصبا أو الشباب .

"لأننى عرفت أننى أحب الكتابة وأرغب فيها قبل العاشرة ، ولم أنقطع عن هذا الشعور إلى أن عملت بها واتخذتها عملا دائما مدى الحياة . ولم تقتصر الرغبة الملحة على القراءة والكتابة المعتادة بل امتدت إلى النظم والنثر المسجوع فى بعض الأحايين.

_ وبلغ اهتمام العقاد بالصحافة والكتابة ذروتها الأولى عندما بدأ الكتابة مبكرا إلى الجريدة التى أشرف على تحريرها الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد كما يقول وكتب قبلها إلى صحيفة " الظاهر " التى كان يصدرها "أبو شادى " المحامى وإلى صحيفتى " المؤيد " و" اللواء " ، ثم كتب لصحيفة " الدستور " التى أصدرها الأستاذ محمد فريد وجدى ولم يبدأ حياته الصحفية المنتظمة بها وهو فى الوظيفة بل استقال من وظيفته الحكومية وظل يكتب بها إلى أن توقفت عن الصدور.ولم يفت العقاد أن ينوه بوجدى ويقول إنه كان قليل النظير فى نزاهته وصدقه وغيرته على المصلحة القومية واستعداده للتضحية بماله وراحته فى سبيل المبدأ الذى يرعاه ولا يتـزحـزح عنــه قيــد أنملة .

العقاد فى السجن

- فى أوائل عام ١٩٢٨ اجتمع البرلمان فى عهد وزارة مصطفى النحاس للبحث فيما يدبر للحياة النيابية بين القصر ودار المندوب السامى البريطانى . ووقف عباس العقاد خطيبا فهاجم أعداء الأمة وأعداء الدستور ونطق بعبارته الشهيرة : " إن الأمة على استعداد لسحق أكبر رأس فى البلد يخون الأمة ويعتدى على الدستور " ! وكما ورد فى كتاب العقاد " أنا "فقد فهم القصر أن المقصود بهذه العبارة الملك فؤاد فدبرت حكومة إسماعيل صدقى للعقاد قضية العيب فى الذات الملكية فقضت المحكمة بحبسه ٩ أشهر مع النفاذ اعتبارا من ١٣ اكتوبر ١٩٣٠.
- ويصف العقاد لحظة دخوله السجن فيقول : " فتحت الكوة الصغيرة ثم فتح باب الرتاج الكبير ثم احتوانا البناء المخفور الذى يعرف فى مصلحة السجون باسم " سجن مصر العمومى " ويعرف على ألسنة الناس باسم " قرة ميدان " أى الميدان الأسود باللغة التركية . وخطر لى وأنا أخطو الخطوة الأولى فى أرض السجن قول الفيلسوف ابن سينا وهو يخطو مثل هذه الخطوة :

دخولي باليقين بلا امتراءٍ .: وكل الشك في أمر الخروجِ

أما الدخول فها هو ذا يقين لا شك فيه . وأما الشك كل الشك فهو أمر الخروج .. متى يكون .. وإلى أين يكون ؟ إلى رجعة قريبة من السجن وإليه ؟ أم عالم الحياة مرة أخرى ؟ أم إلى عالم الأموات ؟

ويصف العقاد فى سيرته حياته فى السجن وما لاقى فيه من المتاعب الصحية والنفسية ؟

**خصائص السيرة الذاتية للعقاد

أولا : تحرى الصدق والصراحة فى سرد أحداث الحياة التى مَرَّ بها

مما جعل السيرة زاخرة بالاعتراف بالعيوب الشخصية وعيوب الوالدين وعيوب المعلمين والأصدقاء والأخوة ، كما هى مليئة بالزهو والفخر بمزايا صاحب السيرة الشخصية . ومن شأن هذا أن يضفى قيمة عالية على تلك السيرة لأنها اصبحت على هذا النحو نموذجاً للسيرة الذاتية العصرية نقلت تجربة الحياة الحية كما هى بسلبياتها وإيجابيتها مما يجعلها أكثر اقناعاو نفعا للمتلقى وأكثر إثارة للمتعة .

ثانيا : تمتع السيرة بعناصر هذا الفن الفنية المحكمة الحديثة التى جعلت من السيرة الذاتية جنسا أدبياً جديداً مُحْكَماً . فهى تسرد مراحل حياته كامله وتسلسلها وتصور نمو وتطور شخصيته وأفكاره من بدايه حياته لنهايتها . فهى ليست ثرثرة ولا مجرد حكى ساذج للأحداث غير مترابط ولا تجميع للأخبار عن حياة صاحب السيرة ، بل إنها كتابة فنية تتجسد فيها وحدة البناء والإحساس بالتطور الزمنى للشخصية وتتبع مراحل النمو والتغير فيها. فهى مكتوبة لتصور حياة العقاد بتفاصيلها فى أبعادها النفسية والخلقية والسلوكية ، وتصور تاريخه الشخصى ، وما اعترضه من صراع ومعاناة ومن نجاحات وإخفاقات ، وقد قدم هذه الحياة بأسلوب فنى متميز وبلغة فصيحة سهلة واضحة .

ثالثا : تتميز سيرة العقاد عن كثير من السير الذاتية الأخرى بأنها ليست كتابة شخصيته بحتة بل هى كتابة باحث عالم فنان . فاذا كتب عن نفسه تناول ألوانا من المعرفة وعقب على كل حدث التعقيب العلمى أو النفسى أو الفلسفى .

ثانيا : " الأيام "

السيرة الذاتية للدكتور طه حسين

بينما كتب العقاد سيرته بضمير المتكلم (أنا) ، كتب طه حسين سيرته بضمير الغائب وعبر عنه بقوله (صاحبنا) . والأيام مكونة من ثلاثة أجزاء . فأما الجزءان الأول والثانى فليس لهما فهرس بالموضوعات وأما الجزء الثالث فقد انفرد وحده بفهرس مفصل لموضوعاته .

و"الأيام" هى نموذج للسيرة الذاتية المعاصرة التى اكتملت عناصرها لتصبح جنسا أدبيا جديدا على نحو ما شرحنا آنفا.

[أ] الجزء الأول من الأيام

**** وفيه يتناول طه حسين مرحلة طفولته الباكرة ومرحلة الصِّبا حتى التحاقه بالأزهر .**

**** ويمكن تلخيص سيرته الذاتية فى هذه المرحلة فيما يلى :**

- ولد فى بيت ريفى بسيط فى صعيد مصر .. ويذكر من سنوات الطفولة بعد أُن فقد بصره _ بعد عام من ميلاده_ خروجه من الدار إذا غربت الشمس معتمدا على سياج محكم من القصب كان يواجه بيته وصولا إلى حيث يجلس شاعر يلتف حوله الناس لينشدهم فى نغمة عذبة غريبة أخبار أبى زيد الهلالى والزناتى خليفة وغيرهما من أصحاب السير الشعبية الشهيرة . وكان يشعر فى كل أمسية بحسرة لاذعة لأن أخته سوف تقطع عليه استماعه لنشيد الشاعر وتدعوه للعودة للبيت فيأبى فتشدُّهُ من ثوبه وتحمله بين ذراعيها وتعدو به حيث تنيمه على الأرض وتضع رأسه على فخذ أمه ثم تعمد إلى عينيه المظلمتين – بعد إصابته بالعمى – فتفتحهما وتقطر فيهما سائلا يؤذيه ! وهو يتألم .

- وفى كل ليلة كان يستيقظ والناس نيام ، ومن حوله إخوته وأخواته يسرفون فى الشخير ، فيخفى وجهه وجسده باللحاف حيث كان يكره أن ينام مكشوف الوجه أو الجسد لاعتقاده فى وجود العفاريت التى تملأ البيت فى ظلام الليل وتهبط تحت الأرض إذا أضاءت الشمس وصحا الناس ، ولذا كان يمضى ليلة خائفا مضطربا تحيطه هذه الأهوال .
- وعندما يصحو من نومه فى الصباح يحدث نفسه بصوت عال ويتغنى بما حفظ من نشيد الشاعر ، ويثير الضوضاء التى لم يكن يضع لها حدا إلا استيقاظ أبيه الشيخ وطلبه الإبريق ليتوضأ ثم يصلى ويقرأ ورده ويشرب قهوته ويمضى إلى عمله ، فتنهض العائلة كلها من الفراش وتملأ البيت صياحاً ولعبا مختلطة بما فى البيت من طير وماشية .
- وكان طه الطفل مطمئنا إلى أن الدنيا تنتهى عن يمينه بقناة لم يكن بينه وبينها إلا خطوات معدودة ، وكان يعتقد أن هذه القناة التى تبين فيما بعد ضحالة مائها بل وجفافها أحيانا عالما مروعا تملأه التماسيح والأسماك المتوحشة والمسحورون الذين يعيشون تحت الماء نهارا وليلا .. حتى كبر وعبر تلك القناة لشاطئها الآخر القريب حيث أكل من شجرات التوت اللذيذة ومن تفاح حديقة المعلم ومما قطف من النعناع والريحان .
- كان طه سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه ، وخامس أحد عشر من أشقته ، وكان يشعر بأن له بين هذا العدد الضخم من الشباب والأطفال مكانا خاصا ممتازا وكان يحس من أمه رحمة ورأفة ومن أبيه لينا ورفقا ، وكان يشعر من إخوته بشئ من الاحتياط فى تحدثهم إليه ومعاملتهم له ، وكان ذلك بسبب ما أصيب به من العمى .. ومع ذلك لم يكن يعرف ما إذا كانت تلك المعاملة المميزة تريحه أم يكدرها ضيقه بالشفقة على حاله ! خاصة أن شفقة إخوته كانت مشوبة بشئ من الإزدراء . ومع هذا

أيضا كان يجد من أمه شيئا من الإهمال ومن الغلظة أحيانا ! ومن أبيه شيئا من الإهمال والإعراض من وقت لآخر ! واستماله كل ذلك إلى حزن صامت عميق خاصة وأن إخوته مبصرون جميعا يرون ما لا يرى! وازداد حزنه عندما اكتشف أنه لا يستطيع أن يأكل بدقة كما يأكل الآخرون فظل طول عمره يخجل من أن يأكل أمام الناس وإنما كان ينزوى ليأكل وحيدا فى عزلة تامة حتى لا يرى الآخرون ما يحدث منه وهو يأكل ما لا يرى ، وهو ما أثار من قبل ضحك إخوته وبكاء أمه! وبالمثل حرّم على نفسه ألوانا من اللعب حتى لا يتعرض للإشفاق عليه أو الضحك منه . وعوضه عن ذلك الاستماع إلى القصص والأحاديث وإنشاد الشاعر وأحاديث الرجال إلى أبيه والنساء إلى أمه ، واجتماع أبيه إلى صحبه حيث كانوا يستحضرون من يقص عليهم قصص الغزوات والفتوح وأخبار عنترة والظاهر بيبرس وأخبار الأنبياء والنساك والصالحين وكتب الوعظ والسنن ، كما كانوا يستحضرون الشاعر الذى ينشدهم أخبار الهلاليين والزناتيين ، بينما طه يسمع ذلك كله ويستمتع به .

- ولم يبلغ طه التاسعة من عمره حتى كان قد وعى الأغانى والقصص وشعر الهلاليين والزناتيين والأوراد والأدعية وأناشيد الصوفية والعَدِيد المـُوَقَّعَ الذى كان تشتهر به نساء الصعيد بما فيهم أمه ، وحفظ إلى ذلك كله القرآن الكريم فى الكُتَّاب الذى روى كثيرا من طرائفه وعجائبه ، ومن بينها ولع شيخه بالغناء والطرب وتعليمه تلاميذه الغناء رغم قبح صوته!!
- وكان أن عاد أخوه الأزهرى من القاهرة ولما انتهت أجازته السنوية وعاد للقاهرة اصطحب أخاه طه ليصبح شيخا ويجاور فى الأزهر.

ويصف طه حياته فى هذه المرحلة بصراحة مطلقة غير مشوبة بأى خجل أو مدارة مبينا ملامح حياته وحياة أسرته الفقيرة ومعاناته من نقص الحاجات

الضرورية وإمساك والده حتى أنه تقاعس عن اعطاء معلمه مكافأته عن تحفيظ طه للقرآن فأهمل تلميذه حتى نسيه إلى أن أعـــاد حفظه فخلع أبوه على الشيخ جبة من الجوخ .

[ب] الجزء الثاني من الأيام

ويتناول مرحلـــــة حياة طه حسين التي تبدأ بالتحاقه بالأزهر وتنتهى بتحوله إلى الجامعة.

**ويمكـن تلخيص هذه المرحلة من واقع ماذكره فى هذا الجزء الثانى فيما يلى :

** أقام فى القاهرة أسبوعين أو أكثر لا يعرف من أمره إلا أنه ترك الريف وانتقل للعاصمة ليطيل فيها المقام مختلفا إلى مجالس الدرس فى الأزهر وهو بسبب فقدانه البصر لا يعرف المكان الذى يقيم فيه والبيئة المحيطة به ولا يعرف التحرك منه منفردا فكان ينتظر دائما أخاه الأكبر الذى سبقه للأزهر ليأخذه من يده ثم يعيده إلى الغرفة التى يقيمان فيها بالربع ، وكان يحازى مجلسه من الغرفة مجلس أخيه الشيخ وكان يريد أن ينفق حياته كلها ليبلغ من العلم الأزهرى أكثر ما يستطيع أن يبلغ وكانت هذه الخواطر تملأ نفسه ، وتملكها وتنسيها تلك الغرفة الموحشة والطرق المضطربة الملتوية القذرة التى تؤدى للأزهر ، بل تنسيها الريف ولذاته وتشعرها بأنها لم تكن مخطئة حين كانت تتحرق شوقا للأزهر وضيقا بالريف .

** ظل الصبى طه أعواما يسمع أخاه الشيخ يدعوه بالجملة الآتية "يااالله يامولانا" فينهض الصبى متثاقلاً ويمضى مع أخيه متعثرا حتى يبلغ الأزهر . فيجلسه أخوه فى مكانه من حلقة النحو ويمضى هو إلى درسه فى زاوية العميان . ويتلقى الصبى درس النحو فيفهمه وينقضى الدرس ويتفرق الطلاب أما هو فيظل فى مكانه حتى يعود أخوه فيجذبه فى غير كلام وفى

غير رفق ويمضى به حتى يخرجه من الأزهر ويقطع به الطريق التى قطعها فى الصباح حتى يلقيه فى مكانه من الغرفة على ذات البساط القديم الذى بسط على حصير بال عتيق . ومن هذا الوقت يتهيأ الصبى لاستقبال حظه من العذاب!! وكانت الوحدة المتصلة مصدر ذلك العذاب فقد كان الصبى يستقر فى غرفته قبيل العصر بقليل ثم ينصرف عنه أخوه ليذهب إلى غرفات "الربع" الأخرى عند أصحابه فيتندرون ويتناظرون ويدرسون ويشربون الشاى . وهو لا يستطيع أن يشارك فى شىء من هذا ولا يستطيع أن يطلب إلى أخيه الإذن بأن يحضر مجلس هؤلاء الشباب ، فأبغض شىء إليه أن يطلب إلى أحد شيئا ، ولو طلب ذلك إلى أخيه لرده عنه ردا رفيقا أو عنيفا مؤلما له على كل حال . وهنا بدأ يحس بحسرات الحنين إلى بيته فى قريته حيث لا يشعر بالـــــوحدة ولا بالجوع ولا الحرمان ولا يتحرق لكوب من الشاى!

** ويستطرد طه حسين فى وصف حياته البائسة فى غرفة الربع القديمة التى كثرت فى جدرانها الشقوق تلك الشقوق التى عمرت بطوائف من الحشرات وصغار الحيوان !! التى كانت حركاتها فى الليل تملأ قلب الصبى هلعا!!

** ويقول طه حسين أن ما اكتسبه من ذلك الربع وتلك البيئة من العلم بالحياة وشئونها والأحياء وأخلاقهم لم يكن أقل خطرا مما اكتسبه فى بيئته الأزهرية من العلم بالفقه والنحو والمنطق والتوحيد .

** تخلص طه من عذاب الوحدة وبؤسها عندما تقرر أن يحضر ابن خالته للأزهر طلباً للعلم فيكون له خير مؤنس ورفيق . فقد كان رفيق صباه وصديقه الأثير . وتغيرت حياة الصبى تماما فذهبت عنه العزلة وكثر عليه

العلم ! واستمتع على نحو أفضل بدروس الأزهر وتنوعها وبعذوبه الصحبة عموما .

** إلا أن الصبى طه ضاق بالأزهر وشيوخه لضيق أفقهم وبغضهم للحوار مع التلاميذ واستفساراتهم واستهانتهم بهم إلى حد كانوا يكيلون معه السباب والشتم والإهانة لهم بل ويعتدون عليهم أحيانا بالضرب .. حتى مرِّ عام كامل فى الأزهر لم يستفد منه شيئا من صحبة الشيوخ والتتلمذ عليهم .. وهنا تغير خط سيره فى الحياة تماماً فقد أدار ظهره للأزهر وعلومه وسعى إلى الأدب والجامعة!

** وكانت لوفاة الإمام محمد عبده الذى أكبره المصريون وجحود تلاميذه لذكراه ونسيانه مكانته أبلغ الأثر فى نفس طه حسين ، فقد زاد سوء ظنه بالناس وعلم أن ما يقدم لعظماء الرجال من الإجلال لغو لا طائل منه ، وأن وفاء الناس ينحل فى أكثر الأحيان إلى كلام لا يفيد . ولاحظ أن الذين بكوا الشيخ الإمام صادقين وحزنوا عليه مخلصين لم يكونوا من أصحاب العمائم بل كانوا من المثقفين (أصحاب الطرابيش) فوجد الفتى فى نفسه ميلا إليهم وميلا طاغيا للأدب ، وكان قوى الذاكرة فكان لا يسمع كلمة تروق له إلا حفظها وبدأ يتعرف بتعمق على أوجه الجمال فى الشعـــر والنثر .

وإذ أنشئت الجامعه أقبل عليها طه حسين وانتسب إليها وفى البدايه كان يذهب لدروس الأزهر صباحا ولدروس الجامعة مساءً وإذا هو يجد للحياة طعما جديدا رائعا ، وإذا هو يتصل ببيئة جديدة وبأساتذة لا سبيل إلى الموازنة بينهم وبين أساتذته المنغلقين فى الأزهر . وفى الحق أن الفتى _ كما يقول _ قطع الصلة بينه وبين الأزهر فى دخيلة نفسه ولكنه ظل مقيدا فى السجلات حرصا على مشاعر أبيه الذى لم يكن يعرف من أمر اتصاله

بالجامعة شيئا . إذكان قد أنفق فى طلب العلم بالأزهر ثمانى سنوات وكان حلم والده أن يتخرج فيه قارئا للقرآن أو معلما لعلومه .

[جـ] الجزء الثالث من الأيام

ويتناول مرحلة حياة طه حسين التى تبدأ بتحوله إلى الجامعة ودراسته للأدب جنبا إلى جنب مع دراسته فى الأزهر (طمعا فى نيل درجة العالمية) وإن كان فى قرارة نفسة قد انتهى إلى الانصراف إلى الأبد عن الأزهر وعلومه وشيوخه إلا النادر الموهوب منهم .

** ويمكن تلخيص هذه المرحلة من واقع حديث طه حسين فى هذا الجزء الثالث فيما يأتى :

* كان الفتى قد أنفق أربعة أعوام فى الأزهر وكان يعدها أربعين عاما لأنها قد طالت عليه كأنها الليل المظلم تراكمت فيه السحب الثقال فلم تدع للنور إليه منفذا . ولم يكن الفتى يضيق بالفقر فقد كان شيئا مألوفا لدى طلاب العلم فى الأزهر الذين استيقنوا أن الثراء يعوق عن طلب العلم وأن الفقر شرط للجدّ والاجتهاد وأن غنى النفوس بالعلم خير من امتلاء الجيوب بالمال! وإنما كان يضيق بهذا السأم الذى ملأ حياته : حياة متشابهة لا يجد فيها جديدا منذ يبدأ العام الدراسى إلى أن ينقضى .. دروس مملة معادة فى التوحيد والنحو والمنطق يتخللها طعام غليظ ، ولم يعد فى تلك الدروس ما يمس قلبه ويرضى ذوقه ويغذى عقله . وكان الفتى يعلم أن أمامه ثمانية أعوام أخرى سيعدها ثمانين عاما .. وفى أثناء ذلك ذكر اسم الجامعة ! فوقع من نفسه أول الأمر موقع الغرابة إلى أن فهم أنها مدرسة لا كالمدارس وأن ميزتها الكبرى عنده أن الدروس التى ستلقى فيها لن تشبه دروس الأزهر وأن الطلاب فيها لن يكونوا من المعممين وحدهم بل سيكون فيها المطربشون ، فأصبح نبأ الجامعة إيذانا للفتى بأن غُمَّتَهُ توشك أن تُكشف:وأصبح فى قلق

وشك أتقبله تلك الجامعة حين يتم إنشاؤها أم ترده إلى الأزهر لأنه مكفوف وليس غير الأزهر سبيلا إلى العلم للمكفوفين؟حتى إذا أنشئت الجامعة سمع الفتى لأول مرة درسا من دروس الجامعة فى الحضارة الإسلامية جديداً كل الجدة ، ملك على الفتى عقله كله وقلبه كله ! ثم سمع لأستاذ إيطالى يحدث طلابه باللغة العربية وسط دهشته ، ولم ينفق الفتى ثلاثة أيام منذ افتتاح الجامعة حتى تغيرت حياته تغيرا فجائيا كاملا !

* اتصل طه بجريدة كان مديرها الأستاذ لطفى السيد فانبهر به وبعلمه الغزير وبأبواب المعرفة التى فتحها له ، ثم اتصل بالشيخ عبد العزيز جاويش وهو من هو علماً وجرأة فى النقد واستهزاءً بالأزهريين ، وأخذ يجرب نفسه فى الكتابة كما جرب من قبل نفسه فى الشعر بين يدى أستاذه فى الأزهر (المرصفى) ولم يكد الفتى يأخذ فى الكتابة حتى عُرِف بطول اللسان والإقدام على ألوان متهورة من النقد ، خاصة عندما كان يعرض لشئون الأزهر فكان يخرج عن طور الاعتدال ولايحسب لعواقبه حسابا ، مما قطع الصلة قطعا حاسما بينه وبين الأزهر وهو مالم يأبه به ، وإنما امتلأ قلبه بالأسى حين عرف سخط أبيه الشيخ وحزن أمه التى كان يختصها بالبر والحنان . واستمر طه مع ذلك فى نقد الأزهر ومهاجمة شيوخه وإهانتهم . ثم تهيأ للامتحان فى الأزهر لينال درجه العالمية فاستعد وأحسن الاستعداد وحفظ فأحسن الحفظ ، وإذا بشيخة المرصفى يحضر إليه ليلة الامتحان وينصحه بأن يستقيل من الامتحان حيث إنه _ أى المرصفى _ عضو فى لجنة الامتحان وقد صدرت تعليمات شيخ الأزهر باسقاطه مهما تكن الظروف! وأصر هو على دخول الامتحان الذى كان مستعدا كل الاستعداد له ولم يسمح له باستكماله حتى يتم إسقاطه وهو ما حدث بالفعل !

* استمر طه حسين فى الكتابة للصحف وفى الجرأة على الأزهر والأزهريين بتشجيع من أستاذه عبد العزيز جاويش الذى كان يرى أنهم آفة هذا الوطن يحولون بينه وبين التقدم ويعينون عليه الظالمين بممالأتهم للخديوى ومصانعتهم للإنجليز . ولكن طه يعبر عن ندمه عن شططه واستجابته لأستاذه عبد العزيز جاويش الذى كان يكره سعد زغلول ويدفعه إلى انتقاد المنفلوطى بل محاولة هدمه . واعترف بأنه انزلق من نقده السخيف إلى طول اللسان والشتم الذى لم تكن بينه وبين النقد صلة !!

* ويذكر طه حسين لأستاذيه لطفى السيد وعبد العزيز جاويش تشجيعهما له على الكتابة كل بطريقته وفى حدود مبادئه وأقر بأنه أصبح كاتبا بفضل هذين الرجلين الذين شجعاه وتنبآ له بمستقبل عظيم ، ويذكر أن عبد العزيز جاويش هو الذى ألقى فى روع الفتى فكرة السفر إلى أوروبا حين قال له فى ذات يوم :

"لابد من أن نصنع شيئاً لإرسالك إلى فرنسا عامين أو ثلاثة اعوام" ولم يكد الفتى يسمع هذه الألفاظ حتى استقر فى نفسه أن ليس له بّد من عبور البحر على أى نحو! ويذكر للرجلين أنهما هما من علماه الحياة وقدماه للأعلام المعاصرين وفتحا له نوافذ المعرفه التى لا حدود لها .. ويذكر لجاويش تقديمه له كشاعر فى أرفع المحافل .

* ويحصل طه حسين على درجة الدكتوراه عام ١٩١٤ عن رسالتة عن أبى العلاء المعرى ليكون أول طالب تخرج فى الجامعه المصرية .

* ثم يعترف طه حسين بانبهاره بشخصية ورقة الآنسه ميّ ، بل يقر بأن قلبه خفق لها فكانت أول إمرأه يخفق لها قلبه!

* ويتحدث طه حسين عن أساتذته العلماء الأجلاء فى الجامعة من المستشرقين الأوروبيين ومن المصريين النابهين وأثرهم فى نفسه وفى تكوينه وفى مسيرته الصاعدة .

* ثم يتناول تجربته فى تعلم اللغة الفرنسية التى أصبح تعلمها هى أو الإنجليزية شرطاً للدراسة ، ويذكر الكثير عن معاناته فى تعلمها والتى وصفها بأنها كانت خطوبا أى خطوب !

* ثم يتحدث عن إعلان الجامعة عن بعثتين فى فرنسا إحداهما لدرس التاريخ والأخرى لدرس الجغرافيا فتقدم لبعثة التاريخ فى جامعة السربون الشهيرة ، فرفضت الجامعة أول الأمر لفقدانه شرط الحصول على الشهادة الثانوية ، ولأن بعثته ستكلف الجامعة نفقات إضافية تعين الفتى على أن يكون له رفيق يعينه ، فرفضت الجامعة طلبة مرة ثانية بسبب عدم معرفته باللغة الفرنسية حق المعرفة . فتقدم مرة ثالثة بطلبه فى العام التالى فقبل طلبه !

* فاجأته الجامعة بأنه سوف يمثل بين يدى الخديوى فى مدينة الإسكندرية فتحدث عن حيرته وقلقه من ذلك اللقاء قائلا ليس قليلا على الفتى الأزهرى الفقير الضرير أن يرقى فى هذه السرعة إلى حيث يلقى صاحب العرش ، ثم فى أى هيئة يدخل على الأمير ؟ أفى ثيابه تلك الرَّثَّة أم فى ثياب أخرى تليق بلقاء الأمير ومن له بهذه الثياب ؟ ومن له بما تحتاج إليه رحلته إلى الأسكندرية من نفقات وهو لا يملك إلا قروشاً لا تتجاوز العشرة ولا يملك أخوه ما يقرضه له زائدا عن حاجته .

_ فأما الثياب فقد اشتراها من جائزة منحت له قدرها عشرون جنيها وأما الإنتقال للاسكندرية فتم فى قطار صحبه فيه صديق موسر ورئيس ديوان الخديوى . وفى الإسكندرية ذهب الفتى وصاحباه إلى القصر فى عربة فخمة

كانت تنتظر رئيس الديوان .ثم أدخل على الأمير فوجده رجلا كغيره من الرجال الممتازين الذين كان يلقاهم فى الجامعة من أعضاء مجلسها أخذ بيده وأجلسه على أريكة جلس عليها إلى جانبه مهنئا له بفوزه سائلا له عما يريد أن يصنع بعد أن ظفر بدرجته فأجاب بأنه يحاول السفر إلى فرنسا ليدرس الفلسفة أو التاريخ . فأنبأه الأمير بأنه سيسافر إلى فرنسا ونصحه بألا يدرس الفلسفة فهى تفسد العقل والذوق ! وعليه بأن يدرس التاريخ فهو علم عظيم ! وبرّت الجامعة بوعدها فضمت طه إلى بعثتها بباريس لدراسة التاريخ وذلك فى عام ١٩١٤ .. إلا أن الحرب أعلنت واستردت الجامعه طلابها من أوروبا وأجلت إرسال البعثة الجديدة واضطر الفتى إلى أن ينتظر !!

* كان طه قد جاوز العشرين ولا يزال عيالا على أبيه الذى أثقلته نفقة البنين وعلى أخيه الذى يعمل فى جمعية خيرية منتظرا المنصب الذى جد وكدّ فى سبيله وهو منصب القضاء الشرعى . هنا أبغض نفسه وملّ حياته بل ندم على ما فرّط فيه تجاه الأزهر وشيوخه حتى حيل بينه وبين درجه العالمية قائلا لنفسه " لو ظفرت بتلك الدرجة لكان لى عمل ومورد أعيش منه ولما أثقلت هذه الحياة البغيضة على قوم من حقهم أن توضع عنهم الأثقال " !

ثم خطر له أن يتقدم للجامعة مقترحاً أن يدرس فيها الآداب والتاريخ فقبل الطلب وقدرت له مكافأة قدرها خمسة جنيهات شهريا وهى مكافأه تفوق مكافأة الأزهر لمن يجلس فيه مجلس الأستاذ. وفى الرابع عشر من نوفمبر أبحر لفرنسا ومعه أخ له ليعينه هناك ، حيث قضى عام البعثة الأول فى جامعة "مونبلييه" وأخذ يتهيأ لإتقان الفرنسية وتعلم اللاتينية من جهة أخرى فهما شرط حصوله على درجة الليسانس الفرنسية وقد قرر أن يحصل عليها بأى ثمن ! وفى مايو من ذلك العام يتعرف على تلك الفتاه الرقيقة التى أصبحت زوجته فيما بعد فتقرأ على مسامعه دروس الأدب الفرنسى وتعرف

السعادة قلبه من يومها .. وإذا بالجامعة المصرية تستدعى كل مبعوثيها وهو منهم لعجزها عن مواجهة النفقات المالية اللازمة لبعثتهم فيعود إلى مصر مكتئبا حزينا وعاد يشقى بالتبطل والفراغ والبؤس !

* ثم تحسنت ظروف الجامعة المالية فتقرر عودة المبعوثين إلى فرنسا وفيهم طه حسين وتقرر أن يلتقوا بالسلطان حسين كامل قبل عودتهم إلى فرنسا وتم هذا اللقاء السعيد وأعقبة سفرهما إلى نابولى ومنها إلى باريس .

*ثم يخوض طه قصة حبه النهائية للمرأة الفرنسية الرقيقة التى كانت تقرأ عليه دروس الأدب الفرنسى واللاتينى والتى كانت له خير عون والتى أصبحت شريكة حياته .

*ويختتم طه حسين الجزء الثالث من سيرته "الأيام" بحديثه عن إيمانه بثورة ١٩١٩ بعد أن أتم العقد الثالث من عمره حين عاد من أوروبا ، مع ذكر تحفظاته عليها ثم تخليه عن مسلماتها وعن بعض قادتها ويستقل فى أحداثها بآرائه الخاصة ويتمسك بها فى صلابة تغضب القصر والإنجليز بل تغضب ممثل الشعب وزعيم الثورة .. و هو فى مواقفه المستقلة لا يتبع إلا ضميره الوطنى الذى وضعه موضع غضب القوى الراجحة والسلطان .. وإذ نصحه محبوه والعاطفون عليه أن يؤثر العافية ولو وقتا قصيرا ؛لم يسمع لمشورتهم ملقيا بنفسه بين ذراعى الأسد واجدا وأهله معه الألم والشقاء ، غير نادم فى ذات الوقت على أى موقف وقفه أو أى معركة خاضها ، مؤثرا دائما رضا الضمير على رضا السلطان فخورا بصلابته وإصراره ولو وقف فى معاركه وحيدا [٤]

خصائص السيرة الذاتيه لـ "طه حسين"

يمكن القــول إنها ذات خصائص سيرة العقاد من تحرى الصدق والأمانة والصراحة فى سرد أحداث حياته بمرهــا وحلوها وتضمنها الاعتراف بالعيوب الشخصية وعيوب الأهل والرفقاء والمجتمع المحيط ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد تمتعت سيرة طه حسين الذاتية فى الأيام بعناصر هذا الفن المحكم الحديث التى جعلت من السيرة الذاتية جنسا أدبا جديدا بحكيها المترابط القائم على وحدة البناء وإبراز التطور الزمنى للشخصية ولحياتها بحيث صورت حياه طه حسيــن بتفاصيلها فى أبعادها النفسية الدقيقة والخلقية والسلوكية وما قاساه من محن وهزائم وما حققه من نجاحـــات .. وقد صاغ ذلك كله بأسلوب فنى عال ولغة فصيحة سهلة واضحة .

ثالثا : "على مشارف الخمسين"

السيرة الذاتية_(القاصرة على تطور التجربة الشعرية)_لصلاح عبد الصبور

** عندما كتب العقاد سيرته الذاتية "أنا" وكتب طه حسين سيرته الذاتية "الأيام" كان ذلك إيذانا بميلاد جنس أدبى جديد لم يكن للأدب المصرى به عهد من قبل . فالسيرة قبل هاتين التجربتين كانت سيرة غيرية ، وما كتب من قبل السيرة الذاتية قبلها كان مجرد أخبار متناثرة عن الكاتب (المترجم) لايربطها تسلسل ولا يحوطها الاكتمال ولاتبين بالتالى تطور مراحل الحياة منذ بدايتها وتدرج نمو الشخصية من البدء حتى الختام . وقد عرفت السيرة الذاتية فى شكلها الجديد سالف البيان تجارب أخرى كسيرة أحمد أمين : "حياتى" وسيرة العقاد سالفة الذكر وغيرهما.

** إلا أن السيرة الذاتية الجديدة التى وصفناها بالجنس الأدبى الجديد أصبحت بعد مرور السنين الطوال على تجربة العقاد وطه حسين ، تجربة كلاسيكية جَدَّت بعدها ألوان أخرى من السيرة الذاتية . ومن ذلك التجربة الخاصة بفاروق شوشة ، فقد كتب سيرته الذاتية شعرا وبغير الطريقة الكلاسيكية فى كتبه "عذابات الزمن الجميل" و "وجوه فى الذاكرة" ، و"أبوابُكَ شَتَّى" وحكى فيها قصة حياته وتناول فيها حياة أساتذته وتجربته معهم وحياه أصدقائه وأحبائه وخصومه وأهلــه ، ومواقف حياته الحافلة المختلفة من الطفولة حتى الكهولة . ففى "أبوابُكَ شَتَّى" مثلا يعرض فى قصيدته الأولى التى تحمل ذات العنوان ضمن ما يعرض لطفولته وهو يخطو نحو الخامسة وأساتذتة وتجربته فى الكُتَّاب وما انتابه فى هذه المرحلة من خوف ورعب . وفى القصيدة التالية "الباب الضيق" يتحدث عن نفسه طفلا فى العاشرة حيث عرف مبكرا الحب الصبيانى وشارك فى جمع محصول العائلة من الزيتون ووقف على مشارف أنغام الشعر ثم غادر قريته الوادعة إلى القاهرة أم الدنيا. وفى قصيدته "تنشطر اثنين" يؤرخ لحياته وقد بدأ حياته الجامعية وعاش شعارات الوحدة والحرية والقومية والاشتراكية وتفتحت عينه على حكم الفرد والدولة البوليسية واقتراب زلزال النكسة "وهكذا [٥] | ومن ذلك أيضا تجربة الشاعر حزين عمر الذى كتب سيرة حياته شعرا [٦] ومن ذلك تجربة فؤاد طمان الذى كان كتابه "رحلتى مع الشعر" لونا من السيرة الذاتية القاصرة على تجربته الشعرية وتطورها منذ الطفولة حتى تجاوز السبعين . وقد عرّج فيها على لوحات تفصيلية من حياته الشخصية تناول فيها أثر والده عليه وأثر أساتذته وجانبا من علاقاته مع زملائه الشعراء وما تبلور لديه من الآراء حول قضايا الشعر . [٧]

** وأما سيرة صلاح عبد الصبور التى أسماها "على مشارف الخمسين"[٨]

فهى تروى جانبا واحدا من حياته هو تجربته الشعرية وتطورها منذ الطفولة حتى أعتاب سن الخمسين . ولا يقال إن هذه السيرة هى عودة للتجربة القديمة حين كان المترجم يذكر بعض أخباره أو جانبا من تجاربه ، فالقديم لم يكن قائما على التسلسل والترابط ونمو التجربة من بدايتها لنهايتها . أما تجربة صلاح فمختلفة إذ يميزها _ وإن كانت قاصرة على جانب التجربة الشعرية _ أنها تعرض تلك التجربة من بدايتها لنهايتها بتسلسل وإحكام وإنضباط وتتعرض لحياه المترجم منذ الطفولة حتى نهاية الرحلة ومنذ كان شاعرا صبيا مقلدا حتى صار رائدا من رواد القصيدة الحديثة ورائدا من رواد المسرح الشعرى الحديث .

** يبدأ صلاح سيرته الموجزة بسنوات الطفولة . فيقول إن سنوات حياته كلها إذا استثنى منها سنوات الطفولة كانت سنوات حزينة . فليس يذكر فى سنين حياته فرحا خالصا بينما يذكر فيها لنفسه ولمن حوله كثيرا من الخيبة الممضة والألم المقيم . ويقول إن عينه قد تفتحت فى شبابه لترى الكون مقلوباً على رأسه .. وإن حلم حياته هو وجيله كان هو أن يعدل هذا الكون المقلوب ! ولكن اليأس أدركه هو وجيله . وهو يعتقد اعتقادا جازما أن ذلك الشعور هو ما يخامر جميع الناس ! إذ يدركون أن الحياة قد أعطت أملا واسعا وقدرة محدودة وأن ما تخايل لأعينهم فى أيام الصّبا الذهبى كان مدى واسعا لا يمكن تملكه . فالإنسان محكوم عليه بالإحباط فى هذا الكون . فنحن لم نعرف كل ما كنا نريد أن نعرف ولم نقرأ كل ما كنا نريد قراءته من كتب ، ولم نطأ كل ما كنا نريد أن نطأ من أرض . وهو يتساءل : لماذا لم أخرج فى رحلتى المستبسلة نحو الحقيقة واليقين ، طارحا عن نفسى ثوب التكلف الزائف ، طارحا عن قلبى غشاء الخوف المقيت ؟!

** يعود صلاح إلى البدايات ويقول لنا كيف عرف فى البداية أنه شاعر . يقول إن أذنه تستطيع دون عون أن تفطن إلى نغمات الشعر ، وأن ذاكرته تستطيع أن تحفظ بعض ما يقرأ منه . ويطمع الصبى عندئذ إلى تقليد ما يحب ، وهنا يأتيه هذا العالم المموسق المصور ، وتبرز القصائد والمقطعات التى قد يكون الكثير منها فى البداية ركيكا. ويقول إن هذا كان حاله فى سنوات الصبا الأول ، وما يلبث الشاعر بعد ذلك أن يقترب من عالم الأسلاف الشعرى .

** ولكن الأمر يتطور بعد ذلك إلى حال أكثر عمقا .. فيقترب الكاتب من دائرة النار _ على حد تعبير صلاح _ فيلمس الحقيقة العميقة ويقترب من الحب العميق أو الرعب العميق أو اليأس العميق .

ويتاح لكثير من الشعراء أن يقتربوا من دائرة النار مرة أو مرات فى حياتهم ، وهم حينئذ يذهلون عن ذواتهم ليقتربوا من هذه النار اللافحة . ولكن هذا الاقتراب محفوف بالمخاطر إذ أنهم حين يعودون إلى عالمهم العادى بعد هذا الاغتراب المخيف تظل هذه الأقباس التى حازوها مشتعلة فى نفوسهم ، فلا يستطيع شاعر وصل إلى قلب اليأس العميق أن يبتسم بعد ذلك !!

** وفى مرحلة البدايات والصبا كان يستحوذ على اهتمام الناشئة فى زمنه فى مصر فى السنوات ١٩٤٥ _ ١٩٤٨ محمود حسن اسماعيل وعلى محمود طه الذين اعتبرا شاعرى القمة آنذاك [١٦] . ولم تكن الأصوات العربيه تصل له ولجيله فهو لم يقرأ إلياس أبو شبكة أو عمر أبو ريشة أو محمد مهدى الجواهرى إلا حين أو غل فى دروب الشعر . ولكن ثلاثة من شعراء العصر العرب استطاعوا بالصدفة المحض أن يدخلوا إلى عالمه الصغير هو وجيله وهم إيليا أبو ماضى (اللبنانى السكندرى) وأبو القاسم الشابى (التونسى) والتيجانى يوسف بشير (السودانى) . فأما إيليا فقد عرفه وجيله حينما غنى

عبد الوهاب له قصيدة الطلاسم فنسخوها من مكتبة بلدية الزقازيق وأحبوا الشاعر حبا قريبا من الفتنة . وأما أبو القاسم والتيجانى فقد عرفهما صلاح عن طريق أديب حقيقى من أدباء ذلك الزمان هو محمد فهمى الذى ربطته به وحدة البلدة وزمالته لخاله . وقد حصل فهمى على شهادة الثانوية وعين موظفا فى مصلحة الرى . وعندما قرأ كتاب توفيق الحكيم الدافىء الرفيع "زهرة العمر"اقتصد فهمى من راتبه القليل وشد الرحال لباريس مثل الحكيم ولكن باريس كانت أقسى عليه مما ظن فأنفق فى رحابها شهورا عاد بعدها وقد وقد فقد عمله ومدخراته وعاش فى القاهره عيشة الفنان الهائم .. وعندما كاشف صلاح والده بأنه يريد أن يكون كاتبا وأديبا فزع فزعا شديدا وقال له فى لهجة بالغة الإستنكار : هل تريد أن تكون صعلوكا مثل فهمى ؟! ويقول صلاح تعليقا على هذا إن أهل الدنيا لا يفهمون أهل الفن من أمثـالنا !

** ويروى صلاح أنه تعرف عن طريق جمال أبو رية (كاتب أدب الأطفال) على مقهى محمد عبد الله فى الجيزة وكان قطباها زكريا الحجاوى وأنور المعداوى وقد أسمعهما شعره فاستقبلاه استقبالا مجاملا . وفى المقهى عرّفه المعداوى بناء على رجائه على محمود حسن اسماعيل الذى كان يتوق للتعرف إليه فأسمعه صلاح بعض شعره ولا يعلم إن كان أرضاه أم أسخطه وكان صلاح آنذاك فى السابعة عشرة من عمره ولكنهما صارا صديقين بعد ذلك .

** ويقول صلاح إن ماكان يصدر من دواوين الشعر لم يكن ليوجد فى مدينته الصغيرة الزقازيق حتى خمسينيات القرن العشرين . فكان الراغبون يلجأون إلى مكتبة البلدية هناك لينسخوا منها القصائد والدواوين .

وفى هذه المكتبة قرأ صلاح جبران خليل جبران وأتم قراءة المنفلوطى ، كما قرأ روايات أدب المغامرات مترجما إلى العربية .

_ يروى صلاح أنه من بين الكتب التى وجدها فى مكتبة البلدية ديوان محمود حسن اسماعيل "الملك" وكان ديوانا تعس الحظ لم يطبع إلا طبعته الأولى ثم تغير نظام الحكم فى مصر عام ١٩٥٢ بقيام الثورة بل إن محمود كان يفزع لذكر ذلك الديوان كأنه ثمرة خطيئة قديمة ! ولم يكن الديوان يمثل شيئا لدى صلاح إلا جماله الفنى والموسيقى الرفيع (فلم يكن صلاح منذ وعى محبا لملك مصر السابق) ويرى صلاح أن شعر محمود فى الملك فاروق نمط من أروع الشعر فهو ليس شعر مناسبة أو استجداء وهو لم ينل من الملك شيئا يذكر. ولكنه شعر محبة واقتداء فخيل لمحمود أنه جدير بأن يقف من فاروق موقف المتنبى من سيف الدولة وخيل له وعيه المحدود أن الحياة لابد أن يكون فيها ملك وشاعر ! هو لم يكن مدحا عاديا بل مدحا عالى القدر من الفن مليئا بالصور البيانية الرائعة جليلا بالايقاعات والوشى الموسيقى . صدر هذا الديوان عام ١٩٤٦ وحين قرأه صلاح وأصحابه فى المدرسة أوشكوا أن يحفظوه . ثم قادهم هذا الديوان إلى ديوانيه السابقين "أغانى الكوخ" وهكذا أغنى" [٩] والواضح أن صلاح يقر بأستاذية محمود حسن اسماعيل له وتعلمه منه وافتتانه به . ويوافقه على أن محمود كان من رواد الشعر الحديث كتب الشعر التفعيلى فى أواسط الثلاثينيات من القرن العشرين (قبل صلاح وحجازى وربما قبل الرائد عبد الرحمن الشرقاوى)ولكنه يلاحظ أن دوواين محمود حسن إسماعيل التالية لديوانه الرابع "أين المفر" كان فيها سعى عظيم إلى امتلاك المعانى التى لا تتصل بالتجربة والانفعال بقدر ما تتصل بالتأمل والفكر.

** وتحت عنوان من "الزقازيق إلى أوروبا" يقول صلاح إنه كان لكل من محبى الشعر من زملائه شأنه هو أيضا كراستان . واحدة يثبت فيها ما تفيض به قريحته من شعر وأخرى ينسخ فيها ما يروقه له مما يقرأ فى الصحف والدواوين . فأما كـراسته الأولى فكانت تتسع وتضيق يوما بيوم ، فقد كان فيها

ما يرضى عنه من شعره ثم ما يلبث أن يكتشف ما فيه من نقص أو خطأ أو تقليد مكشوف فيمزق عندئذ أوراقا من الكراسة حتى لم يبق من بعض هذه الكراسات إلا جلدتها ![١٠]

أما كراسة المختارات فكانت زاخرة بقصائد على محمود طه وقصائد ابراهيم ناجى . فأما على محمود طه فقد أفاق صلاح من عالمه فى وقت مبكر فلا صبواته عنده جديرة بأن تسمى حبا ولا نساؤه عنده يشبهن النساء ! . أما ناجى الذى كان قليل الحظ من رضاء النقاد فقد ثبت لديه أنه أرق العاشقين وأنه كان إنسانا نبيلا معطاءً بكل معانى الكلمة فصادقه حتى رحيل ناجى عام ١٩٥٣ .

** تخرج صلاح فى الجامعة (كلية الآداب قسم اللغة العربية) وعمل مدرسا فى إحدى المدارس الإعدادية ولم يكن مدرسا ناجحا بحال من الأحوال ! وكان مفتشو اللغة العربية من قدامى رجال التعليم يضيقون بما يخالون من إهماله وقلة بضاعته من العربية حتى أن أحد المفتشين كتب فى تقريره إنه لا يصلح للتدريس !

_ وكان سهر صلاح وزملائه المعلمين الليلى فى نادى المعلمين بميدان الأوبرا وكانت هذه المجموعة من المعلمين التى عرفت فيما بعد بالجمعية الأدبية المصرية مكونة من فاروق خورشيد (الروائى ودارس التراث الشعبى) وعز الدين اسماعيل (الشاعر والناقد ووكيل كلية الآداب بجامعة عين شمس فيما بعد) وعبد الغفار مكاوى (القصاص الفيلسوف المترجم) و عبد الرحمن فهمى (الكاتب ، القصاص ، وكان موسيقيا أيضا) وأحمد كمال زكى (الشاعر الناقد)

** وتحت عنوان "كتابان تعلمت منهما" يقول صلاح إن الكتابين هما المنتخب فى أدب العرب و"الذخيره الذهبية" الذى جمعه بالجريف فى عصر غلبة الذوق الرومانتيكى من قصائد الرومانتيكين الإنجليزى قبل أن يثور الشعر

الإنجليزى على نفسه وتمتد إليه مغامرات التصويريين أو تجريب إليوت [١١] وتحت عنوان "الأربعة الكبار" .. يتحدث صلاح عن طه حسين والعقاد ثم توفيق الحكيم وابراهيم المازنى . ويقر بأن هؤلاء الأربعة كان لهم أكبر الأثر فى تكوينه العقلى والذوقى فى سنوات الصبا الأولى وما بعدها

** وأخيرا يتحدث صلاح تحت عنوان "على الشاطىء الغربى لأول مرة" عن إطلاعه على اللغة الانجليزية وعلى الأدب الغربى وعلى دراسات المستشرقين اللامعين وعلى المدارس الأدبية الأوروبية منذ نشأت الرمزية والبارناسية والسريالية والدادية والواقعية الاشتراكية ، والوجودية بمذهبها الحديث فى النظر إلى الإنسان والفن . وهو يشير بصفة خاصة إلى استفادته من الدكتور عبد الرحمن بدوى ولويس عوض ومحمد مندور وكتاباتهم الرائده القيمة وصولا إلى إليوت الذى وصفه بالعظيم والذى لم يكن رجعيا كما وصفه البعض ولم يكن هروبيا يهرب إلى العالم القديم . فالعالم الحديث (عالم خرب ومزيف) وربما كان طريق الخلاص الذى اختاره إليوت وهو الدين غير مجمع عليه فى عصر يباهى بالعلم والإحصاء ولكنه على أى حال أحد الطرق المطروحة علـــى الوجدان المعاصر.

خصائص السيرة الذاتية (على مشارف الخمسين)
لصلاح عبد الصبور

أولا : على عكس سيرة العقاد وطه حسين المتقدمين لم ترد سيرة صلاح عبد الصبور (على مشارف الخمسين) متناولة كافة مراحل حياتة بكل أحداثها الهامة أى نشأته وطفولته وصباه وشبابه حتى نهاية السيرة وأثر أبويه وأساتذته ورفاقه ونجاحاته فى الحياة وإخفاقاته وما حصله من علوم ومعارف وما شغله من وظائف وما أنجزه من أعمال بل جاءت من سيرة صلاح قاصرة على تجربته الشعرية من بدايتها حتى وقوفه على أعتاب الخمسين دون أى جانب آخر تقريبا من جوانب حياته . وهو تطور وتنوع لحق بعض السير الحديثة . فهكذا فعل الشاعر فؤاد طمان عندما أرخ لرحلته الشعرية بمؤلفه "رحلتى مع الشعر" وإن كانت سيرته قد شملت جوانب أخرى من حياته رآها موضحة لمسيرته الشعرية . وهكذا فعل شعراء آخرون ، ناهيك عن ألوان أخرى من السيرة .. مثل سيرة الشاعر فاروق شوشة التى صاغها شعرا فى كتابيه "وجوه فى الذاكرة" "وأبوابُك شَتَّى" ، وسيرة الشاعر حزين عمر التى صاغها شعرا أيضا

ثانيا: تميزت سيرة صلاح بما تميزت به سير العصر الحديثة من صراحة وصدق واعترافات بالعيوب والأخطاء . فهاهو صلاح يعترف بأنه لم يكن طالبا دءوبا ملتزما متفوقا بل يكتفى بتحصيل المناهج المقررة عليه فى الأيام القليلة السابقة على أداء الامتحانات (ص٣٣). وها هو يعترف بأنه عندما عين مدرساً إثر تخرجه لم يكن مدرساً متفوقاً نابهاً مهتما حتى أن مفتشى العربية كانوا يأخذون عليه ما اعتقدوا أنه إهمال وضعف فى رصيده من اللغة بل إن أحدهم أشر بعدم صلاحيته للتدريس ! (ص٣٤) / بل إن

صلاح يعترف بأنــه ادعى _وهـو طالب_ كذبا بأنه يضطر للعمل بالنهار كاتبا فى مصنع أثناء فتـرة الدراسة لضيق ذات اليد بحيث لا يستطيع حضور الدروس / حتى يبرر لمدرس اللغة الفارسية سوء نطقه للغة وواقع الأمر أن ساعات نهاره كانت تسكعـــا [ص٣٤] . وهو منذ البداية يلوم نفسه لأنه لم يطرح عن نفسه ثوب التكلف الزائف وعن قلبه غشاء الخوف (ص٩)

ثالثا تميزت سيرة صلاح بأنها ليست كتابة شخص بحتة بل هى كتابة باحث مفكر وأديب وفنان فهو حين يكتب عن نفسه يتناول أيضا أفكار ومذاهب الاخرين سواء تأثر بهم أو عارضهم بحيث لا تصـور السيرة تجربته وحده بل أيضا تجـارب جيله / ومدارس الزمن الذى عاصره . فهو حين يتحدث عن بدايته كنـا شىء فى مملكة الشعر يحرص على أن يشيرإلى الشعراء الذين استحوذوا على اهتمــام الناشئة فى زمنه (ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٨) فيحددهم فى شاعرى القمـة آنذاك محمود حسن اسماعيل وعلى محمود طه (ص١٢) . وهو لا يشير لهمـا مجرد اشارة بل يخصص لهما صفحات

مطولـة تستغرق جانبا كبيرا من سيرتـه(ص١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨) . ثم ينتقل إلى نـاجى فيـراه أرق العاشقين ويجد لديـه الصـدق والعاطفـة القويـة الـذين لـم يجـدهما عنـد علـى محمـود طـه ويطيـل الحـــديث عـــن ناجـــــى وشعـــــره وخصائصـــه فـــى الصفحــــات ٢٩،٣٠،٣٢،٣٤، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧ . وفـــى عـــرض لسيرته لا يفوته أن يتناول خايل مطران ويدلى بدلوه فى نقده فى الصفحات ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤ .

_ ويبدى صلاح _ لدى عرضه لسيرته وسير الآخرين _ رأيه فى بعض قضايا الشعر والنقد فيقول مثلا إن الشعراء يجب أن يعصموا أنفسهم من

النقـــاد فلا يستسلموا لتقديراتهم فناجى الذى اتهمه كبار النقاد بالضعف والضحالة مما جعله يوشك على هجر الشعـــر تبين أنه أرق العاشقين وأصدقهم فى عصرنـا الحديث ص(٤٧)

_ وصلاح وهو يتحدث عن سيرته الشعرية يعرِّج على أهم كتابين تعلم منهمـا الشعرالعربى والانجليزى ويطيل الحديث عنهما لأهميتهما فى تكوينه وهمـا المنتخب فى أدب العرب لطه حسين ونخبة من زملائه والمنتخـب فى الأدب الانجليزى الذى جمع قصائده ف.ت. بالجريف فى أواخر القرن التـاسع عشر (عصر غلبه الذوق الرومانتيكى) ، وهو المنتخـب الذى عرف بـــاسم " الذخيرة الذهبية " (من ص ٥٠ إلى ٥٧)

_ وأخيراً فإن صلاح بعد أن عرض تجربته الشعرية يعرض أيضاً للأربعة الكبار أعلام الأدب فى تراثنا المعاصر : طه حسين والعقاد ثم المازنى وتوفيق الحكيـم وهو يتناولهم بالتفصيل نظراً لأثرهم الجليل فى تكوينه .

هوامش الفصل الثاني

[١]طاهر الطناحى : مقدمته للسيرة الذاتية للأستاذ العقاد ص [١١] حيث يذكر أنه فى سنة ١٩٤٦ وكان العقاد فى السابعة والخمسين من عمره اقترح عليه أن يكتب كتاباً عن حياته فأكد له أنه يعتزم ذلك وأن عنوان سيرته سيكون : "عَنِّى " واستطرد العقاد قائلا : ولعلى أبدأ بالجانب الأول الذى هو "أنا" .ويعقب الطناحى فيقول :حياة العقاد حياة ضخمة لا يمكن أن يجمعها كتاب واحد وإذا كنت أقدم فى كتاب " أنا" حياتة النفسية والشخصية أى الإنسان " فسيبقى بعد ذلك " العقاد الكاتب والعقاد الشاعر والعقاد السياسى والعقاد اللغوى والعقاد الصحفى والعقاد الفنان والعقاد المؤرخ والعقاد العالم والعقاد الفيلسوف ، فقد كان بحرا فى إطلاعه وانتاجه ، وكان فذا فى مواهبه وعبقريته .

[٢]" أنا" عباس العقاد – المجموعة الكاملة لمؤلفاته _ (المجلد الثانى والعشرون (السيرة الذاتية) ص ٤٧ وما بعدها .

وراجع أيضا دكتورة وفاء اسماعيل البردان مدرس الأدب والنقد بجامعة الأزهر : فن السيرة الذاتية بين رصد الواقع وجماليات السرد الأدبى – " أنا " للعقاد أنموذجا _ حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية – العدد السادس والعشرون _ المجلد الثانى (٢٠١٠) ص ١٢٥ ،١٢٦ .

[٣] "أنا" _ عباس العقاد _ المرجع السابق ص ٣٨ وما بعدها .

[٤] الأيام _ طه حسين _ المرجع السابق _ دار المعارف _ الطبعة السادسة . وما جرى من سيرة طه حسين بعد ما ورد فى الجزء الثالث من الأيام معلـوم ولا يقل خطرا على ماذكره فى الأيام . فقد صار من أبرز البـارزين فى مصر فى كل ميدان خاضه ؛ استاذا فى الجامعة وكاتبا ألمعيا ووزيرا للمعارف وأديبا مبدعا فى مجال القصة والرواية والمقال وناقدا وباحثا

مجددا يثيرالغواصين بين الحين والحين حتى رحل عن دنيانا عام ١٩٧٣. ومما جدّ بعد أحداث الأيام احتلاله مكانا سامقا فى الأدب المعاصر لقب بسببه بعميد الأدب العربى، وتأسيسه جامعة الأسكندرية وتولى إدارتها عام ١٩٤٢ ، وهو من عمل على إقرار مجانية التعليم ، وأسس جامعة عين شمس ، وقدم للمكتبــة العربية عشرات المؤلفات الهامـة الشهيرة.[راجع قاموس الأدب العربى الحديث المرجع السابق ص ٣٠١ وما بعدها _ معجم المنجد فى اللغه والاعلام _ الطبعة الخامسة والثلاثون _ دار المشرق ص٣٥٨.

_ وقد جَدّ بعد أحداث السيرة الذاتية للعقاد "أنا" أحداث وتطورات هامة فى حياته لم تتضمنها تلك السيرة من ذلك إصداره بعض الكتب الشهيرة ومنها كتابه "الديوان" الذى أصدره مع صديقه المازنى عام ١٩٢١ متضمنا نقده العنيف لشوقى ونقد المازنى الحاد للمنفلوطى ، ولعبد الرحمن شكرى زميلها فى تأسيس مدرسة الديوان التى كان العقادُ مَنظِّرَها وطور من خلالها مفهوم الشعر العربى وأثر فى كل طرق التجديد التالية فى إبداع الشعر ونقده منها إصداره دواوينه الأربعة الأولى ثم اختياره عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ ثم عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٤٤ ثم نيله جائزه الدولة التقديرية عام ١٩٦٠ . وكان قد أصدر دواوينه "وحى الأربعين" عام ١٩٣٣ وهديه الكروان عام ١٩٣٣ أيضا وعابر سبيل عام ١٩٣٧ وأعاصير مغرب ١٩٤٢ وبعد الأعاصير ١٩٥٠ . ونشر العقاد رواية واحده هى سارة ١٩٣٨ وبعض القصص القصيرة المنشورة فى الدوريات وعددا من الكتب يتجاوز المائة كتاب من أهمها العبقريات (عبقرية محمد (١٩٤٢) وعبقرية عمر (١٩٤٢) وعبقرية الصديق (١٩٤٣) وعبقرية الإمام على (١٩٤٣) وعبقرية خالد (١٩٤٥) وكتبه الإسلاميه الأخرى : عثمان بن عفان والحسين بن على

(١٩٤٥) وفاطمة الزهراء (١٩٤٥) ومعاوية بن أبى سفيان (١٩٥٦) وكتبه عن الزعماء العرب والمسلمين العالميين مثل "سعد زغلول" (١٩٣٦) ومحمد عبده (١٩٦٣) وعبد الرحمن الكواكبى (١٩٦٠) ومحمد على جناح (١٩٥٢) والمهاتما غاندى (١٩٤٨) وقبل ذلك دراسته عن ابن الرومى (١٩٣١) وأبى نواس (١٩٥٣)

[راجع : قاموس الأدب العربى الحديث إعداد الدكتور حمدى السكـوت ص٣١٠ وما بعدهـا _ دار الشروق _ ط١ (٢٠٠٧)

[٥] فاروق شوشة : أبوابُكَ شَتَّى (ملامح من سيرة شعرية) _ الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ٢٠١٣

[٦] حزين عمر : الهيئة المصرية العامة للكتاب _ ط(١)

[٧] فؤاد طمان : رحلتى مع الشعر _ دار السفير _ الطبعة الأولى ٢٠١٧ . وفيها يتناول تجربته الشعرية من بدايتها حتى بلغ السبعين ، ولكنه يتطرق أيضا إلى لوحات من سيرة حياته الشخصية تتعلق بتأثره بوالده وأساتذته ورفاقه الشعراء وبعض مواقفه من قضايا الشعروالحياة .

[٨] صلاح عبد الصبور : على مشارف الخمسين : الناشر : دار الشروق _ط(١) ١٩٨٣ ص٧ وما بعدها .

[٩] صدر ديوان "الملك" فى عام ١٩٤٦ أما الديوانان السابقان عليه فهما "أغانى الكوخ" الصادر سنة ١٩٣٥ وكان محمود حسن اسماعيل آنذاك طالباً فى دار العلوم "وهكذا أغنى" وقد صدر عام ١٩٣٨. فأما الديوان الأول فهو مستلهم من الريف وأما الثانى ففيه ثلاثون صفحه استأثر بها الملك فاروق وباقيه من شعر الطبيعة ويقول صلاح إن النغمة الملَكِيّة استأثرت ببعضه فى لهجة ناضجة متمكنة :

فاروق حبك فى القلوب عقيدة أخذت سراها فى القلوب مع الدم

قسمت مع الإيمان قدس مكانه   فى الروح وهو لغيرها لـم يقســــم
والشرق يقرأ فى جبينك آيــــــةً   فجر الربيع بنورها لم يــوســـــم

ويقول صلاح فى هذا الصدد إن محمود يمتلك قدرة لا تطال على تكوين الصورة الشعرية ولَمِّ عناصرها على غير ما آلف جيله من الشعراء حتى ليكاد يصدق فيه ما قيل عن أبى تمام من أنه قد تجاوز عمود الشعر التقليدى إلى عمود شعرى جديد !

ويقول صلاح إن عناصر خيال محمود حسن اسماعيل تختلف كثيراً عن عناصر خيال الرومانسيين من معاصريه ، فهم يذكرون لك الورد والطير والشجر والأسى . أما محمود فقاموسه غريب عنهم . إن قاموسه هو التهاويل والجنون والرفات والهشيم والبوم والدجى والصخور والضجيج !

استمع إليه يصف نفسه حين غابت عنه حبيبته :

كرمام القبور كالبيدر المهجــور   كالرجس فى جُنوب العصـــــــــــــــاةِ
كـــــأنين الغريب فى وحشة الليل   كـلطم النـــــــــــــوادب الثــاكلات
هكذا صــــرت بعد ما غبت عنى   فى الأسى والنحوس ضاعت حياتى

[١٠] يقول صلاح إن كتب المختارات فى رأيه نوع من التأليف تفتقده مكتبتنا الشعرية بل إن هذه الكتب هى ما ينطبق عليه بحق صفة "التأليف" . إذ يؤلف كاتبها أو جامعها بين أذواق وحساسيات مختلفة مستهدياً بذوقه وحساسيته . وقديماً قالوا : إن إختيار المرء جزء من عقله . وإنى لأتمنى لو كانت المكتبة الشعرية قد عمرت بمختارات طه حسين والعقاد وشوقى وغيرهم كما عمرت بمختارات البارودى . وأقدر لأخينا أدونيس صنعه فى جمع مختاراته من الشعر العربى .

[١١] يشيد صلاح بكتاب المنتخب من أدب العرب ويصف لنا كيف تعلم مما فيه من شعر العربية ونثرها على امتداد عصورها وقد جمعه وشرحه

طائفة من أساتذة الأدب على رأسهم "طه حسين العظيم" . ومن هذا الكتاب عرف صلاح فى سنوات الصبا الأولى امرئ القيس والنابغة والأعشى وطرْفه ثم شعراء القرنين الرابع والخامس الهجريين من أمثال السري الرفاء والطغرائى ثم بعض النابهين من شعراء عصور التخلف كالبهاء زهيروصولا إلى الشعر العربى القديم المتجدد عند البارودى واسماعيل صبرى ، وعن طريق المنتخب عرف صلاح وجيله عوالم هؤلاء الشعراء الذين ما زال يذكر لهم قصائد "للمتنبى العظيم" وأبى العلاء المعرى ويقول إنه فتن بالمتنبى حتى حفظ معظم شعره وحين قرأ المعرى محا من فؤاده كل ماعداه !

الخاتمة ونتائج البحث

_ هَكذا نصل إلى نهاية بحثنا المتعلق بالسيرة الذاتية فى الأدب المصرى المعاصر كجنس أدبى جديد .وكنا قد قدمنا البحث بمقدمة وجيزة أعقبها المبحث التمهيدى الذى دللنا فيه على حداثة نشأة السيرة الذاتية كجنس أدبى جديد . والذى تضمن أيضا إطلالة على فن السيرة الذاتية فى الأدب الغربى أعقبته إطلالة على فن السيرة الذاتية فى الأدب العربى وخلاصة البحث ونتائجه هى كما يلى :

أولاً أن الأدب الغربى عرف السيرة الغيرية .. ثم عرف فى تاريخه الحديث السيرة الذاتية ، وكذا الأدب العربى القديم فقد عرف السير (الغيرية) ثم عرف السيرة الذاتية فى بعض صورها غير المحكمة .

وإنما كان تحول تلك السيرة الذاتية إلى جنس أدبى جديد معاصر راجع إلى أن السير الذاتية القديمة كانت محض أخبار متناثرة وحكى غير منتظم للأحداث التى مرت بصاحب السيرةأو بعض تلك الأحداث أو عرض لمشاهد متفرقة من حياة المترجم ليس فيها وحدة البناء ولا إبراز التطور الزمنى للشخصية وتتبع مراحل النموالتغير فى تلك الشخصية أما السيرة المعاصرة التى تخلقت كجنس أدبى جديد فهى فن محكم من الناحية الفنية يرويها كاتبها مترابطة من بدايتها لنهايتها بصياغة فنية جذابة قادره على بث الحياة والحركة فى النص من خلال تصوير الأحداث وتطور الشخصية ومواقفها فى الحياة .

ثانيا: لعل خير ما يمثل السيرة الذاتية الحديثة كجنس أدبى جديد فى الأدب المصرى هو السيرة الذاتية للأستاذ عباس محمود العقاد وعنوانها "أنا" والسيرة الذاتية للدكتور طه حسين المسماة "الأيام" وخصائص السيرتين متقاربة ويمكن إيجازها فيما يأتى :

(١) تحرى الصدق و الصراحة فى سرد أحداث الحياة الواردة فى السيرة من بدايتها لنهايتها . بما يعنيه ذلك من انطوائها على اعترافات كاتب السيرة بأخطائه وعيوبه وعيوب من حوله على نحو ينقل تجربة الحياة الحية كما هى بسلبياتها وايجابيتهامما يجعلها أكثر إقناعا ونفعا للمتلقى وأكثر إثارة للمتعة .

(٢) تميز السيرة الفنية المحكمة الحديثة من حيث سردها مراحل الحياة كاملة وتسلسلها وتصويرها نمو وتطور الشخصية وأفكارها . بحيث تتجسد فى السيرة وحدة البناء والوقوف على التطور الزمنى للشخصية ومراعاة أنها مكتوبة أساسا لتصور رحلة الحياة بتفاصيلها فى أبعادها النفسية والخلقية والسلوكية وما اعترضتها من صراع ومعاناة ومن نجاحات وإخفاقات . مع الحرص على أن يكون تقديم تلك الحياة موضوع السيرة بأسلوب فنى متميز وبلغة فصيحة واضحة

(٣) تتميز كل من السيرتين _ سيرة العقاد وسيرة طه حسين _ بأنها ليست كتابة شخصية بحتة بل هى كتابة باحث وعالم وفنان ، فرغم أن كاتب السيرة يكتب عن نفسه هو إلا أنه يتناول ما اتصل بها من ألوان المعرفة معقبا على الأحداث التعقيب النفسى أو الفلسفى أو العلمى الذى يضىء الطريق أمام المتلقى .

ثالثا : أن فن السيرة الذاتية الحديث النشأة لم يعد قاصرا على مثل تجربتى العقاد وطه حسين . بل ثمة تطور وتطبيقات أخرى تمثلها السيرة الأخيرة فى هذا البحث وهى "على مشارف الخمسين" لصلاح عبد الصبور. فهى سيرة قاصرة على تطور التجربة الشعرية لكاتب السيرة من بدايتها حتى بلوغه أعتاب الخمسين من عمره . متضمنة تطور تجربته فى كتابة الشعر منذ الطفولة وتعرض لبعض آرائه فى قضايا

هذا الفن . وليست هذه التجربة وحيدة فى بابها فهكذا كتب الشاعر فاروق شوشة سيرته الشعرية وهكذا فعل الشاعر حزين عمر وهكذا فعل الشاعر فؤاد طمان وغيرهم من الشعراء والروائيين وفى مقدمتهم صاحب جائزة نوبل نجيب محفوظ الذى اشتهرت "أصداء سيرتة الذاتية".

المراجع

(١) د. إحسان عباس : فن السيرة _ الناشر : دار الثقافة بيروت _ لبنان.

(٢) صلاح عبد الصبور _ على مشارف الخمسين _ دار الشروق_ الطبعة الأولى _١٩٨٣ .

(٣) طاهر الطناحى : مقدمة سيرة العقاد (أنا) _ المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد (المجلد الثانى والعشرون).

(٤) د. طه حسين : الأيام (ثلاثة أجزاء) _ دار المعارف الجزء الأول ١٩٢٩ _ الجزء الثانى ١٩٤٠ _ الجزء الثالث ١٩٧٢.

(٥) عباس العقاد : أنا (المجموعة الكاملة لمؤلفاته _ المجلد الثانى والعشرون)_القاهرة ١٩٦٤.

(٦) فاروق شوشة : أبوابُكَ شتَّى (ملامح من سيرة شعرية) _ الدار المصرية اللبنانية (القاهرة) الطبعة الأولى ٢٠١٣ .

_ فاروق شوشه : وجوه فى الذاكرة _ الطبعة الأولى ٢٠١٠ _ الدار المصرية اللبنانية .

(٧) فؤاد طمان: الشعر المصرى المعاصر من الإحياء حتى الحداثة _ دار السفير_ الطبعه الأولى ٢٠١٦.

_ رحلتى مع الشعر _ دار السفير _ الطبعة الأولى(٢٠١٧).

(٨) محمد عبد الغنى حسن : التراجم والسير _ دار المعارف_ الطبعة الثالثة .

(٩) أ.د. محمد فاوبار : السيرة والسيره الذاتية كمنهج ، من الأدب إلى علم الاجتماع .(بحث منشور فى مجلة عالم الفكر الصادر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت_ العدد الأول المجلد ٤٤ يوليو وسبتمبر ٢٠١٥.

(١٠) د. وفاء إسماعيل البردان : فن السيرة الذاتية بين رصد الواقع وجماليات السرد الأدبى ؟ العدد ٢٦ _ المجلد الثانى _٢٠١٠ .

(١١) د. يحى ابراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث _ دار إحياء التراث العربى _ بيروت طبعة ١٩٧٥.

(١٢) المعاجم :

أ _قاموس الأدب العربى الحديث _ إعداد : دكتور حمدى السكوت _ الطبعة الأولى ٢٠٠٧ دار الشروق.

ب_ المنجد فى اللغة والأعلام _ دار المشرق _ الطبعة الخامسة والثلاثون.